فن الحرب

"الكتاب المقدّس
للدراسات العسكرية"

عنوان الكتاب: فن الحرب /"الكتاب المقدّس للدراسات العسكرية"

تأليف : سون أتزو : الفيلسوف والحكيم الصيني (550 ق.م)

تقديم: عيد الدرويش

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/190/ تشرين الأول/ 2023

الناشر: اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني: وفاء الساطي

الحقوق كافة

محفوظة

لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني:mawkif@tutanota.com

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

ttp://www.awu.syh

سون أتزو

فن الحرب

"الكتاب المقدّس للدراسات العسكرية"

تقديم: عيد الدرويش

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (190)

تقديم

عيد الدرويش

شكّلت حضارة الصين علامة فارقة في تاريخ البشرية، وأسهمت في ترسيخ مفاهيم القيمّ والمثّل والأخلاق والحكمة، التي كانت أساساً راسخاً في نهضتها وتقدمها، وديمومتها على مدى العصور، وقدّرة الشعب الصينيّ على المثابرة في رفع وتيرة العمل والالتزام بتلك المبادئ، ومحافظين على ثبات مواقفهم إلى يومنا هذا، الصين اليوم تحتل مرتبة متقدّمة في القدّرة على المنافسة في جميع المجالات، وأصبحت من الدّول العظمى، وقوة اقتصاديّة كبرى، تطوق العالم بمنتجاتها وصناعاتها.

كل هذه الانجازات كانت بفضل الفكر والحكمة التي أسسها الأبناء الأوائل قبل الميلاد، وفي مقدمتهم الحكماء مثل (كونفوشيوس ـ لا وتسي ـ وسون أتزو) وغيرهم، وما تزال آراؤهم وأفكارهم تتغذى منها كل الحضارات.

دفعنا حبّ الاطلاع على ذلك التاريخ السحيق، ومعرفة تاريخ الصين العريق في جانب مهمّ في جوانب الحياة، وخاصّة في مجال الحروب، التي كانت جزءاً مهماً وشغلت حياة الشعوب، التي تُعدّ ركّناً أساسيّاً في سياسة البقاء والمواجهة إلى هذا الكتاب التي حرصت عليه القيادة الأمريكيّة على أن يحمله كل جندي، ذهب إلى تحرير الكويت لقراءته، والذي اعتادت الشركات اليابانيّة على أخذ النصائح التي حفل بها من أجل تطبيقها، كما يُعدّ واحداً من أهم وأندّر المخطوطات القديمة في تاريخ العالم كله، وأحد أشهر وأهم الكتب الصيّنيّة، وتعود الأهمية الفائقة لهذا الكتاب على الرغم من أن الكتاب قد تم تأليفه قبل الميلاد، إلى بقاء معظم ما جاء فيه من مبادئ صالحاً للتطبيق حتى يومنا هذا، مع مرور ما يزيد عن أكثر من ألفيّ عام على كتابته، ما جعله الكتاب الاستراتيجيّ بلا منافس، فالمبادئ التي ذُكرت في هذا الكتاب يتم تدريسها والاستفادة منها، ليس في المجال الحربيّ فحسب، وإنما في المجالات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والتجارية، بل وحتى في المباريات الرياضية، وقد تناوله الأمريكان في حرب الخليج، وتم تزّويد كلّ جندي أمريكيّ بكتاب فن الحرب، واستخدمه اليابان، حيث عكف كبار

ثلاثيّ "السامورايّ" على دراسته وتطبيقه لتوحيد اليابان تحت راية واحدة، وذاعت شهرة هذا الكتاب بعد الحرب العالميّة الأوّلى، التي أكد الكثيرون من الخبراء العسكريّين أنّ الكثير من المذابح التي شابت الحرب العالميّة الأوّلى، كان يمكن تجنبها لو توفّر مثل هذا الكتاب وقتها للقادة العسكريّين والمخططين ومتخذيّ القرار.

الحرب تعبير في كلمة واحدة، ولكن ما تخلفه على أرض الواقع من أفعال كارثية على الإنسانية جمعاء، وما تتركه من مآس ودمار وقتل وتهجير وتشريد، وستحتاج الأمم والشعوب إلى ترميم ما تمّ تخريبه إلى أضعاف زمن الحروب، فضلاً عن القدرات الهائلة لتعويض وترميم تلك الآثار، وأغلب الشعوب لا ترغب بالحروب، ولكنها واقعة لا محالة، صنعها الحكام والقادة عبر التاريخ، والحديث عن الحروب لا يتسع هذا البحث لتدوينها، ولكن المؤرخ "توينبي" يقول: "إذا كانت البشرية قد عرفت الكتابة والتدّوين لحياة الإنسان منذ حوالي 5000 عام، فإن 4500 عام قضاها في الحروب، وما تبقى من تلك الفترة كانت يده على الزناد"، تلك الحروب تم تدوينها في مؤلفات وكتب، وكانت الكثير منها تتناول مسألة الحرب، وخططها وأبعادها واستراتيجيتها، ولكن يبقى كتاب "فن

الحرب" الذي كتبه المفكّر والفيلسوف العسكريّ الصينيّ "سون أتزو" من أهم الكتب عن الاستراتيجيّة العسكريّة، وما يزال له الصدارة في الاطلاع عليه، والاسترشاد منه لمّا فيه من قيمة أساسية في جوانب الحرب التي تناولها "أتزو" وكأنّه كتب لكل زمان ومكان، وتكاد لا تخلو مكتبة من المكتبات الكبرى من نسخة منه، ولكن لا يُعرف الكثير عن حياة "سون أتزو" أو الفترة الزمنية التي عاش فيها، وهو من معاصري الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس 551 - 479 ق.م) ومن الواضح أنّ "أتزو" كان أحد القادة العسكريّين في إحدى تلك الدوّل المتحاربة، وقد عكف على تسجيل تجاربه الاستراتيجيّة والتكتيكيّة للأجيّال اللاحقة، وقد تركت كتاباته بصماتها على الكتابات العسكريّة الصينيّة المعاصرة.

كتاب "فن الحرب" من أحد أهم مئة كتاب في تاريخ البشريّة، وخاصّة في المحافل العسكريّة، كما يُعدّ "الكتاب المقدّس للدراسات العسكرية"، ليس على مستوى الصراع العسكري فقط، وإنّما في جميع أنواع الصراعات، الفرديّة والجمعيّة، ويتألف من ثلاثة عشر فصلاً، وهي ليست سرداً تاريخيّاً، وإنّما معلومات مكثّفة حول قيادة الحروب،

والكتاب كان صالحاً لكل زمان ومكان، وتُرجم لأوّل مرّة إلى الفرنسية من حوالي مئتي عام، كما تُرجم إلى لغات عالميّة عدّة، وأغلب الحروب التي قام بها القادّة العسكريّون فيما بعد استفادوا منه، منها على سبيل المثال لا الحصر، استفاد الأمريكان في عمليّة "عاصفة الصحراء في عام 1991م وكذلك فعل نابليون في حروبه، وأيضاً القادّة الألمان.

في وقتنا الراهن يستعين العسكريّون بما كتبه "سون أتزو" ومن الجليّ أنّهم مقتنعون بأنّ حِكَمه وتجاربه التي سجّلها في كتابه لها أهميتها البالغة في الاستراتيجيات العسكريّة المعاصرة؛ ففي أثناء حرب "فيتنام" كان ضباط الجيش الأمريكيّ يحرصون على امتلاك نسخ من كتب "سون أتزو" و"ماتسي تونغ" ولكن قليل ممن يحملونها قد قرأها بشكل جيد، وأقل منهم من فهمها الفهم الصحيح أيضاً.

ما يزال الصينيون يعدّون كتاب "فن الحرب" من الكتب الهامّة التي يعتمدون عليها في استراتيجياتهم العسكريّة، ويُعدّ نتاج زمن من الاضطراب الكبير في التاريخ الصيني، ويُعدّ من أفضل ما في التراث في موضوعه أيّ تحليل طبيعة الحرب، وتقديم تصوّر عن كيفيّة ضمان النصر، وعلى العكس من

كتب الأبراج العاجيّة والتأملات النظرية في الاستراتيجيّات، يُعدّ هذا الكتاب استجابة للظروف التي سادت في وقت كتابته، وتأثيره الهائل في حياة المجتمع الصيني وتاريخه، فالأفكار الرئيسية في هذا الكتاب بالغ التأثير، فقد ظلّ موضع إجلال في الصين طيّلة قرون، وقد تجاوزت شهرته، وتخطى تأثيره تحول الصين إلى دولة شيوعيّة، وقد تمّ تعليمه وتدريسه في اليابان لعدة قرون، ومنذ منتصف القرن الثامن تحديداً، وعرفه الغرب قبل زمن طويل من معرفته ببقية الكلاسيكيّات الصينيّة، وظهرت أوّل ترجمة فرنسية له، وتبعها ترجمة روسية، وعرفته اللغات الإنكليزية والألمانية في القرن العشرين.

حياته ونشأته

كلمة "أتزو" في اللغة الصينية القديمة تعني المعلم أو الرجل الذي بلغ المراتب العليا في العلم والفلسفة، ولد في عام ٥٥١ ق.م، في ولاية "لو آن" الواقعة في مملكة "تشي" وينحدر "سون" من عائلة عسكريّة عريقة، فأبوهُ وجدهُ ووالد جدهِ كانوا يُعدّون من أهم القادة العسكريّين، وروّاداً في خوض وقيادة المعارك في تلك الفترة، هذه الظروف كانت سبباً في تلقي "سون" لأفضل العلوم العسكريّة، التي أهّلته لأنّ يصبح أفضل اختصاصيّ صينيّ في المعارك الحربيّة والاستراتيجيات العسكرية، عاش حتّى عام ٤٩٦ ق.م، وذاع صيّته بسبب عبقريته العسكريّة التي اشتهر بها، وهو من عاصر نهاية عصر "الربيع والخريف" الذي شهد تحوّل المجتمع الصينيّ من مجتمع العبيد إلى المجتمع الإقطاعيّ، حيث كثرت الحروب بين أكثر من ١٣٠ مملكة صغيرة، ما أدى في النهاية لظهور خمس ممالك قويّة، تنازعت فيما بينها على السلطة والحكم،

هذه الحروب الطويلة لم تكن بمعزل عن "أتزو"، إذ زادت من خبرته العسكريّة، وعمدت إلى صقل مواهبه وزادت من حكمته.

هاجر "أتزو" بعد حصول هذه الاضطرابات من بلده - قوسو - في مملكة "وو" في شرق الصين "إلى الغرب من مدينة شنغهاي اليوم"، وهناك اعتزل العالم، وتفرّغ لدراسة العلوم العسكريّة، وتلخيص "فن الحرب".

عاصر "أتزو" عصر النزاعات والحروب التي عاشتها الصين في تلك الفترة، وكانت ولايات متفرقة في رقعة جغرافية واسعة ومترامية الأطراف، إنّ تسميّة مرحلة الدوّل المتحاربة تسميّة دقيقة، وخلال قرنين وربع القرن من استمرارها لم تظهر الصين كدولة موحدة، فمع نهاية مرحلة الربيع والخريف، التي تميّزت هي ذاتها بحروب متواترة تكون مما تصبح الصين أخيراً من سبع دول قويّة، وخمس عشرة دولة أقل قوّة، وكما توحي تسميّة مرحلة الدول المتحاربة، فقد كانت هذه إحدى المراحل التي تنافست فيها أكثر الدول قوّة على الهيمنة مبتلعة جيرانها الأصغر، كلّما كان ضرورياً، وبناء على هذا فإن تاريخ المرحلة هو تاريخ حروب متواصلة: أحلاف، وأحلاف مضادة ومعاهدات تعقد ومعاهدات تُنتهك، ولذا ليس

من المفاجئ أن تتغير طبيعة الحرب مع انتهاء المرحلة، كما أصبح واضحاً أنّ الاستقرار السياسيّ لا يمكن تحقيقه بسهولة، فقد توقفت الحرب عن كونها مجرّد مغامرات وأصبحت قضيّة جادة.

لقد طبّق "ماوتسي تونغ" رئيس الصين السابق أفكار "سون أتزو" على كتاباته عن الحرب الأهليّة الصينيّة في الثلاثينيّات والأربعينيّات من القرن الماضي "العشرين" وأشار أيضاً - ماو تسي تونغ - أنّ كتاب "فن الحرب" قد ساعده كثيراً في حربه ضد اليابان، وكذلك استفاد قادة فيتنام من حِكَم "سون أتزو" في الحرب الفيتنامية ضد الفرنسيين، ومن ثمّ الأمريكيين لاحقاً، والكثيرون يروّن أنّ كتاب "فن الحرب" يناسب استراتيجيّات الدوّل الأضعف، وتُعد قراءة كتاب "فن الحرب" من الأمور ذات الأهميّة البالغة للقادة العسكريّين، والمخططين الاستراتيجيّين في الدول الأضعف، ولكن في الوقت نفسه، فإن هذه الأفكار متاحة أيضاً للدول الأخرى، وفي كلتا الحالتين، يتعيّن على القادة السياسيّين والعسكريّين في الدول الأقوّى مثل الولايات المتّحدة الأمريكيّة أن يطلعوا على أفكار "سون أتزو" لأنّهم إن لم يكونوا سيستخدمونها، فإنّهم في حاجة إلى حماية أنفسهم

ممن يستخدمونها، والكتاب لا يركز على الخطط لتحقيق النصر فحسب، بل أيضاً على خطط واستراتيجيات تجنّب الهزيمة، والتقليل من الخسائر بأكبر قدّر ممكن، أو تفاديها، كما يوضح الطرق لتحقيق النصر مع تجنب القتال، إن كان ذلك ممكناً، ولعلّ شهرة هذا الكتاب تعود لإمكانية تطبيق ما جاء فيه في جانب علم الاقتصاد والتجارة والسياسة والرياضة، وفي جميع المجالات تقريباً، كما يُعدّ - فن الحرب - من المبادئ العسكريّة الصينيّة، وكل مبدأ من هذه المبادئ لا يتجاوز سطراً أو سطرين مرتبة في فصول، ضمن 13 مقالة، يجسد خلالها الكاتب الأفكار العسكريّة، واحتوى أيضاً بعض الملاحق من بعده، وأضيفت عليه من شروحات وتعليقات أو توضيحات من كبار العسكريّين الصينييّن الذين جاؤوا بعد "سون أتزو"، وفي بعض المواضع تم تأليف كتب عن فن الحرب لـ"سون أتزو" تتضمن تجاربه، وإدارة الأعمال التجارية، وكذلك العديد من الكتب الأخرى التي تقتبس من كتاب فن الحرب، ويذكر القائد البريطانيّ المارشال "مونتغمري": إنّه لمن الضروري إدراج كتاب "فن الحرب" في قائمة المواد الدّراسيّة للكليات العسكريّة في العالم بأسره.

هذا الكتاب يمزج ما بين البعد العسكري والإنساني والتركيز على شروط الوحدة بين القائد والشعب، والتي تعزز وتضمن التماسك الداخليّ لبنية المجتمع أولاً ومن ثمّ البنية العسكرية ثانياً، وهذا ما يتوافق مع مفهوم الوطن في لغة العصر، لتعبئة الطاقات البشرية والماديّة والمعنويّة، تدفع بالسياسة في تعايش الشعب مع زعمائه في وئام، فضلاً عن أنّ "سون أتزو" كان مواطناً وجنديّاً في مملكة "تشي" في الصين القديمة، وبسبب ذيوع صيته في فنون الحرب أشار كبار القادة العسكريين على الملك "هولوو" أن يستعين به، فطلب منه الملك أن يضع خلاصة تجاربه في كتاب، فكان "فن الحرب" وعندما سأله الملك: لقد قرأت كتابك "فن الحرب" فهل يمكنني وضع نظريات تحت اختبار بسيط؟ فأجابه بنعم، واقترح أن تكون التجربة على جواريّ الملك، فوافق، فتمّ تجهيز 300 امرأة من جواري قصر الملك، وقسّمهنّ إلى مجموعتين، واختار على رأس كل مجموعة إحدى المحظيات وألبسهنّ الدروع وأمرهنّ بأن يتسلحنّ بالسيوف والحراب في أيديهنّ.

ثم قال: أتعلمنّ الفرّق بين المقدّمة: والمؤخرة، واليدين اليمنى واليسرى؟.

فأجابته النسّوة بنعم، ثم قال: عندما أقرع الطبول وأطلب، انظرن أمامكن عليكن النظر للأمام.

وعندما أقرع الطبول وأقول: "دُرن لليسار" يجب عليكن الامتثال للأوامر.

وكذلك الحال باتجاه أيديكن اليمنى، وعندما أقرع الطبول وأقول: "دُرن للخلف"، يجب عليكن الدوران باتجاه أيديكن اليمنى إلى ورائكن.

ردّت النسوّة بالموافقة وفهم ما قال، فقام "سون أتزو" بإعداد الترتيبات، وأعطى أوامره "دُرّن لليمين" لكن النساء انفجرن بالضحك، ولم ينفذنَ الأمر.

فقال: إذا كانت كلمات القائد غير واضحة ومميزة، وغير مفهومة، فيقع اللّوم على القائد، ثم أكمل فأعطى أوامره: دُرّن لليسار، لكن النساء انفجرن بالضحك، ولم ينفّذن الأمر.

فقال: إذا كانت الأوامر واضحة ومميّزة ومفهومة، ولم ينفذن الأوامر، فالخطأ يقع على الجنود.

وكرّر الأمر ثلاث مرات، وقرع الطبول بيديّه، ولمّا لم يتمّ تنفيذ الأوامر أمر بإحضار القاضي العسكريّ، وسألهُ في

ساحة الميدان: ما جزاء عصيان الأوامر العسكرية؟ فأجابه: "العقاب فصّل الرقاب" وعليه أمر "سون أتزو" بقطع رقبة قائدتي المجموعتين أمام النسوة.

وكان الملك يراقب ما يجري، ولم يسرّه ما شاهده، فأرسل وراء "سن أتزو" قائلاً: لقد أصبحت واثقاً من قدرتك على التعامل مع الجنود، ولن يلذ ليّ طعام أو شراب، من دون هاتين الجاريتين.

فردّ على رسالة الملك: بتكليفكم لي قيادة قواتكم العسكريّة، هناك بعض أوامركم لا يمكنني قبولها، وأنا تحت هذا التكليف.

وتم إعدام القائدتين أمام النسّوة، وعلى الفوّر تم تعيين أخريين قائدتين ممن تليهما بالحظوة عند الملك، وتم استئناف التدريب، فلم يضحك أحد، وتقدّمت النسوة في التدريبات على قرع الطبول من دون تلكؤ.

ثم أرسل "سون أتزو" إلى الملك قائلاً: لقد تمّ تدريب النسّوة وهنّ على الاستعداد للاستعراض، يمكنكم استخدامهن في أيّ غرض يشاؤه الملك، أصدر لهنّ الأمر فيخضنّ الماء والنار، فردّ عليه الملك: فليعد قائد الجيوش، ولينهي التدريب، فلا رغبة عندي في استعراض النسّوة.

عندها قال "سون أتزو": الملك مغرم بالكلمات فقط، ولا يستطيع ترجمتها إلى أفعال، لكن الملك عيّنه القائد العام للجيوش، وأرسله ليحارب مملكة "تشوف" المجاورة، فهزمها وشقّ طريقه إلى عاصمتها "ينغ" ثم إلى الشمال، حيث زرع الخوف في مملكتي "تشي" و"ينغ" ومن نصر إلى نصر حتى ذاع صيّته، وتوسعت المملكة بعد أن انتصر "سون أتزو" بجيش قوامه 30 ألف جندي على جيش العدّو وقوامه 200 ألف جندي، بسب افتقار العدو إلى عنصري التنظيم والإدارة، وتنامى حجم الجيوش والحفاظ على اقتصاد الدولة لدعم النزاع المسلّح موضع اهتمام، ومن هنا لا عجب أن ظهرت فئة من الضباط المحترفين، الذين كرّسوا حياتهم لإدارة حرب ناجحة، ومن أكثر مهمات الدولة جديّة ومفتاح البقاء أو الخراب هو أن تمتلك الدولة جيشاً فعالاً ذا قيادة ممتازة، ومفتاح النجاح الأوّل هو خداع العدّو: كلّ حرب تقوم على أساس الخداع، ولهذا حين تكون قادراً على الهجوم تظاهر بعدم القدرة، وحين تقوم بتحريك القوات تظاهر بأنّك لا تقوم بأيّ فعل "ويحتل منع العدّو من سبر اختبار مقاصد المرء المرتبة الأولى في الأهمية، وبخداع العدو فإنّه سيستعد على كل الجبهات، وستكون قوات هكذا عدو منتشرة وضعيفة، لذلك في كل مكان وستندحر بالتأكيد".

المخابرات الجيدة هي الأمر الجوهري الثاني في الحرب، ويقف هذا وراء قول "أتزو" إنّ شبكة تجسّس موسعة ليست موضع خيار، بل هي ضرورة أساسيّة، وإنّ كسب الحرب هو نتيجة "معرفة مسبقة" أيّ مخابراتيّة، وهذه المعرفة لا يمكن أن تأتي عن طريق استشارة الأبراج والأرواح، ولا بالبناء وفق أحداث الماضي، بل يجب الحصول عليها من الناس الذين يعرفون أوضاع العدّو، ويعتمد الجيش على المعلومات التي يجمعها الجواسّيس من أجل كل حركة من تحركاته، وليس هناك من مكان، كما يقول "أتزو" يمكن أن يستثنى من التجسس وشبكة واسعة من الجواسيس الذين يتلقون أجوراً ممّتازة هي استثمار ذو قيّمة كبيرة، وضروري وثمين بالنسبة للدولة، ويؤكد "أتزو" في أكثر من مكان ومناسبة على أن المعرفة أو الاستخبارات ذات أهمية حيويّة في الحرب: اعرف العدّو واعرف نفسك، ولن تُهّزم في مئة معركة.

يتطرق الكتاب إلى السمات العامة التي يجب أن يتحلى بها القائد المثالي أن يكون "هادئاً وغامضاً"، قادراً على وضع خطط لا يمكن سبر أغوارها، وهذه تعابير تستخدم غالباً لوصف الشخص الذي بلغ هدف "الطاوية" الروحيّ أيّ الاستنارة، والواضح من ملحوظات أخرى في النصّ أن قائد

"أتزو" المثالي يمتلك بعضاً من هذه الأحوال: الخبير يمرّ بلطف ورهافة لا تترك أثراً ولا صوتاً، وبهذا يتسيّد على مصير العدّو هذه الملحوظات الغامضة تبدو محيّرة للوهلة الأولى، ولكنها ليست كذلك، إذ أخذت في سياق نظرية وممارسة "الطاوي" فالحكيم الطاوي هو المرء المتناغم كلياً مع الواقع الكامن وراء عالم الحياة اليومية، المألوف في خبرتنا اليومية.

القائد الماهر يستجيب تلقائياً وبشكل مناسب مهما كانت الظروف والأحوال، وهذه خاصية إضافية لا بد أن يمتلكها القائد، ومثلما يشير "سون أتزو"، فإنّ الظروف لا تكرر نفسها، ولهذا فإنّه لا يمكن وضع القواعد الاستراتيجيّة بتفاصيل يحتاجها كل موقف مقدماً أبداً، ومن هنا حين يتحقق النصر، فإنّ تكتيكات المرء لا تتكرر وعلى المرء أنّ يستجيب دائماً للظروف بطرق لا نهاية لتنوعها.

القائد الماهر يسعى إلى الحصول على النصر من الوضعيّة ولا يطلبه من أتباعه، الوضعية هي التي تجلي اتجاه نظام الأشياء الذي يستجيب له الطاويّ الماهر بتسديد كامل وتلقائية مطلقة، ومثل هذا الشخص لا يحتاج إلى الاعتماد على خطط وأفعال الأتباع، وإذا كان الرجل المناسب قائداً وقادراً على خداع العدو، وإخفاء مقاصده عنه ومزوّداً بالمعلومات

الاستخباراتية من شبكة تجسّس واسعة، فإن الهدف النهائي للحرب سيتحقق، وفي ما يتعلق بطبيعة هذا الهدف النهائي، الحرب هي فعل من أفعال ممارسة القوّة هدفه إجبار العدو على الانصياع لإرادتنا واستخدام القوّة نظرياً، رغم أنّه لا يمكن تطبيقه بسبب المعوّقات السياسيّة التي لا حدود لها، والتدمير يجب أن يتجنبه قدر الإمكان، لأنّ هدف الحرب ليس تدميراً شاملاً للعدّو بشكل عام، وأفضل سياسة في الحرب هو أخذ دولة من الدول متماسكة، وتدميرها ليس سياسة فضلى، والإمساك بجيش العدو كلّه أفضل من تدميره، ومن أكثر ملاحظات "سون أتزو" التي يستشهد بها كثيراً يقول فيها: "أنّ إخضاع العدّو من دون قتال هو أرفع امتياز".

العمل العسكريّ هو أقل الطرق جودة لاخضاع العدّو، وتعلوّها في المرتبة استراتيجيّة إفساد تحالف العدّو، وأفضل من كلّ هذا وذاك هو استخدام الاستراتيجيّة لهزيمة العدّو، وليس هناك من يستطيع تحقيق هذا المثال سوى الطاويّ الماهر، ذلك المثال الذي يفرض وجود مستوى من البصيرة النافذة لا يملكها الناس العاديون.

يجب أن يمتلك القائد المثالي خصائص مهارة "الطاوي"، ولا يستجيب استجابة ملائمة للأوضاع التي لا يمكن التنبؤ بها

والمتغيرة تغيراً لا متناهياً التي تحدث في الحرب إلا مثل هذا الشخص، ولأنّ كلّ حرب مختلفة، فإنّه لا يمكن صياغة قواعد استراتيجيّة محددة، أو تكتيكات تقوم على أساس إحداها يمكن أن تأتي دائماً بالنصر، ولا يجلب إلا القواعد المرنة والمتكيّفة والمتميّزة، ويحتاج الجنود إلى الراحة، بعد كل تدريب وتمرين، فالجنود، المتعبون يتوقون إلى بيوتهم، ولا يقاتلون بالحماس نفسه الذي تقاتل به قوات جديدة، وسيكون المنخرطون في حملة طويلة واعين بالمصاعب التي تعانيها عائلاتهم بسبب اقتصاد الحرب.

ويرى "سون أتزو" أن القادة الذين ينتصرون في الحرب دون اللجوء للقتال، لا يذيع صيّتهم كرجال حكماء أو شجعان، ومثل هذا الانتصار الذي يفضله "سون أتزو" يحدث بغير الصّخب الذي عادة ما يلازم الانتصار في الحرب، وربما يكون غياب الضّجة والاستعراضات العسكريّة من العوامل المهمة في الانتصار.

كلمات خلّدها التاريخ: يقول "أتزو" من بين ما يقوله في كتابه، ولا يزال يعلق بأذهان جميع السياسيّين والعسكريّين في العالم حتّى يومنا هذا، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

– إنّ ما يصلح للتطبيق في الحرب، يصلح للتطبيق في الحياة اليوميّة.

– عدم وجود الشعر الأبيض ليس دليلاً على القوّة، ورؤية الشمس والقمر لا تعني حدّة البصر، وسماع الرعد لا يؤكد على سلامة الأذن.

– القرار الأقل صواباً في وقت الحاجة إلى الجسم، أصوب من القرار النموذجي بعد ضياع الفرصة.

– يا أيّها الفن المقدّس: فن السرّيّة والكتمان؛ منك تعلمنا أن نتخفّى، فلا يرانا أو يسمعنا عدونا، لنقبض نحن على مصيره في أيدينا.

– إنّ الموقع الذي سنبادر بمهاجمته، يجب أن يكون في طي الكتمان، لأنّ العدو سيضطر حينها للدفاع عن جميع مواقعه.

– يجب أن يكون اتجاه مخططاتك العسكرية كاتجاه المياه، من أعلى إلى أسفل.

– أنّ المبدأ الذي ينبغي إتباعه في الحرب هو: يجب تجنب نقاط القوّة، والضرب على نقاط الضعف.

– جيش بدون وسائل نقل للأمتعة مفقود، وجيش بدون مؤونة كافيّة مفقود، وجيش بدون مصادر للإمداد والتزويد، سيكون كذلك مفقود.

– لن نكون قادرين على أن نحقق السبق والتقدم، إذا لم نعتمد على أدلاء محليين، من نفس البلاد التي نمرّ بها.

– حينما تبادر بالهجوم، كن سريعاً كالريح، ومتشابكاً كالغابات.

– في هجومك كنْ كالنار، وفي ثباتك كنْ كالجبل.

–اجعلْ خططك غامضة كالليل، وعندما تتحرك انطلقْ كالعاصفة.

– تكون الروح المعنويّة للجنود في أوجها صباحاً، وعند الظهر تأخذ في التراجع، ومع حلول المساء يفكرون في العودة إلى المعسكر.

– لا تقطع طريق جيش منسحب إلى وطنه.

– عندما تحاصر جيشاً، اترك له ثغرة للهرب، ولا تزيد الضغط على عدوٍ يائس.

– لا تطارد العدّو الذي يتظاهر بالانسحاب، ولا تهاجم الجنود، وقد تملكهم الهيّاج واليأس.

– عندما يتملكك اليأس يجب أن تقاتل.

– هنـاك طـرق يجـب ألا تقطعهـا، وجيـوش يجـب ألا تهاجمهـا، ومـدن يجـب ألا تحاصـرها، ومواقـع يجـب ألا تقاتـل فيها، كما أن هناك أوامر الحاكم يجب ألا تطاع.

– اجعل معسكرك في موضع مرتفع ومشمس، ولا تتسلّق المرتفعات لملاقاة العدو، واعلم أن حروب الجبال أكثر كلفة، وأكثر تطلباً لبذل الجهد.

– إنّ اتخاذ المياه ساحة للمعركة، أمر في غاية الكلفة والإجهاد.

– ارتفاع الطيور في السماء دليل وجود كمين، وذعر الحيوانات يشير إلى أنّ هجوماً مفاجئاً على وشك الوقوع.

– إذا ما تجمّعت الطيور في موقع، كان ذلك دليلاً على خلوّه من الأعداء، وإثارة الضجيج ليلاً دليل على العصبية.

– إنّ عروض السلام التي لا يصاحبها ميثاق وعهد مؤكد، غالباً ما تكون محضّ مكيدة مدبرة.

– إذا تفشى الصراع بين الجنود حول نيل الرتب، فإن اللحظة الخطّرة قد حانت.

- إذا ما تقدمت بعض فرق العدّو، وتراجع البعض الآخر، كان ذلك دليلاً على وجود خدعة.

– عندما يسبقك العدّو إلى احتلال ممرّ ضيّق، لا تتبعه مادام الطريق جيّد التحصين، وتقدّم فقط إذا ما كانت التحصينات ضعيفة.

– بعيداً عن العوامل الطبيعيّة، هناك ست كوارث قد تصيب الجيش من قبل قائده، وهي: الهروب التمرّد وعصيان الأوامر، التدهور والانهيار، الدمار، الفوضى، الهزيمة.

– التنظيم المتقن للدولة، أفضل حليف للجندي.

– إذا كنت واثقاً من تحقيق الانتصار، بادر بشنّ الهجوم، وإن كان ضد أوامر الحاكم، وإذا كنت واثقاً من الهزيمة، لا تتقدم، وإن أدّى ذلك لمخالفة أوامر الحاكم.

– إذا ثبت لدينا حسن إعداد جنودنا للمواجهة، وضعف إعداد عدّونا، نكون قد قطعنا نصف الطريق إلى النصر.

– عندما تعرف العدّو، وتعرف قدراتك، فأنت لا شك سوف تحرز الانتصار، وعندما تعرف حالة الجو والأرض، فإن انتصارك سيتحقق.

– إنّ القادة الأفذاذ هم من يستطيعون استغلال لحظة تشتت جنود العدّو، فيحولون دون تجمعهم مرة أخرى، ويعملون على تعميّق الفرّقة والفوضى بين صفوفهم.

– هاجمْ دولة غنية، ذات أرض خصّبة، لتضمن الغذاء لجهودك.

– اعمل على نبذّ التطيّر، وابتعد عن الشكوك، حتى لا يكون هناك خوف من أيّ شيء، فالموت ذاته يحب ألا يمثل لك كارثة.

– القائد الجيّد هو من يقود جيشه، وكأنّما يقود فرداً واحداً من فرط التعاون.

– يجب على القائد أن يكون هادئاً، وأن يحرصّ على: السّريّة، العدل، والانضباط، لكي يضمن تنفيذ أوامره.

– إنّ خطط العدو لا يمكن الحصول عليها، إلا بتجنيد بعض الجواسيس، وهنا تكمن أهمية استخدام الجواسيس.

– الجواسيس خمس فئات هي: الجواسّيس المحليّون، الجواسّيس الداخليّون، الجواسّيس المنشقّون، الجواسّيس المحكوّم عليهم، الجواسّيس المستمرون.

– اقبض على جواسّيس العدو وجنّدهم لحسابك.

– إذا تم تسريب معلومات سرّيّة إلى جاسّوس، قبل الوقت المقـرّر لـذلك، وجـب قتـل ذلـك الجاسّـوس، ومـن سـرّب لـه المعلومات.

– هـذه هـي بعـض العبـارات الـواردة في الكتـاب "فـن الحرب" لـ "سون أتزو"، تدل على طريقة تفكير صاحبها، وبعد نظره في فترة مبكرة من التاريخ الإنساني.

الفصل الأوّل:
التخطيط للحرب وكيف يتم اتخاذ القرار؟

لا يوجد في حياة الأمم ما هو أخطر من قرار شنّ الحرب، فالحرب لا تتوقف عند كونها ساحة للدّم تزهق فيها أرواح الجنود، وإنّما هي جهد جماعي لكل أفراد المجتمع، ويمكن أن تحوّل بلاد بأكملها إلى أراض يعمّها الخراب والدمار.

ومن هنا، فلا يمكن أن نستهين بأيّ حال من الأحوال بتبعات الحرب، ومن ثم يجب أن نتريّث قبل اتخاذ القرار بشنّها.

معرفة فن الحرب ذو أهميّة حيويّة للدّولة، فهي مسألة حياة أو موت، وبمثابة الطريق إلى برّ الأمان، أو إلى حيث الخراب، ولذا فالحرب دائماً قضيّة تستحق البحث والتحرّي والتدقيق والتمحّيص، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال تجاهلها أو الاستهانة بها.

الحرب مسألة خطيرة للدّولة، إنّها ميدان الحياة والموت، وهي الطريق التي تؤدي إلى العيش أو الفناء، لذلك من المستحيل عدم دراستها بعمق.

والمخطط الجيد يخضع العدّو من دون قتاله.

وفي حالة الصراع المسلّح، على الرجل الارتكاز على عاملين حاسمين هما: ملكة العقل والفضيلة، لأنّهما إذا استخدما بشكل صحيح يؤديان إلى النصر.

ولذلك لا يجب التعامل مع الحرب بخفّة وتهوّر، إنّما يجب استباقها بإجراءات تؤدي إلى تسهيّل تحقيق النصر.

أخذ البلاد سالمة، هو أفضل من تدميرها، وأسّر الجيش المعاديّ أفضل من تدميره، وذلك مرتبط بسياسات إدارة الحرب، فإحراز مئة انتصار في مئة معركة ليس من الأفضل، بل إخضاع العدّو بدون قتال هو أفضل ما يكون، أمّا في حال عدم إمكان الوصول إلى تلك النتيجة وبالوسائل المتوافرة، فعندها يتمّ اللجوء إلى القوة المسلّحة لتحقيق النصر، ولكن وفق الشروط الآتية:

- اختصار فترة الحرب.

- تخفيف الآلام والخسائر البشرية.

- تكبيد العدّو خسائر ممكنة.

ويجب وضع الحرب في إطارها السياسيّ وقيام التحالفات، كذلك أشار إلى وحدة الجبهة الداخليّة واستقرارها، وأهمية معنويّات الجيش في مقابل تصديع جبهة العدّو الداخليّة وتخفيض معنويات جيشه، كما حاول إيجاد قاعدة ثابتة للمقارنة العقلانيّة بين طرفي النزاع، في العوامل المرجوة للنصر، كالمعنويات والطاقة الفكريّة والجسديّة، والظروف الجويّة والتخطيط والمال، والنظام والتدريب والمكافآت والعقوبات.

وإذا كان للحاكم أن يقيم قضيّة الحرب قبل اتخاذه قراراً بشنّها، وإذا كان يتوجب عليه قياس درجة صعوبة الحرب، أو مخاطرها بهدف التعرف على إمكانيات النصر، أو احتمالات الهزيمة، فإن بمقدوره أن يعتمد في تقييمه على مبادئ خمسة ثابتة تحكم فن الحرب أو تحسم قرار دخول الحرب، وهي:

-السياسة.

-المناخ.

-الجغرافيا.

-شخصية القائد.

-النظام العام.

السياسة أو القانون الأخلاقيّ أو التعاقد الأخلاقيّ بين القيادة التي تعمل لصالح الشعب، والشعب الذي يقدم لها الولاء والطاعة، هذا التعاقد هو ما يدفع الأفراد لإتباع أوامر القائد العام دوّن تردّد، ودوّن خوف من العواقب "التدريب المستمر يجعل الضباط مستعدين للحرب، غير متردّدين أو قلقين، كما أن القائد سيكون مستعداً كذلك بدوره".

السياسة هي ذلك الشيء الذي من أجله يكون الشعب في انسجام وائتلاف مع السلطة العليا، ومن ثمّ فإنّهم يتبعون هذه القيادة غير مبالين بحياتهم، ودون أدنى تفكير في الخيانة.

أمّا التأثير المعنويّ للسياسة بهذا المفهوم، فيعني تعايش الشعب مع زعمائه في وئام، بحيث أن الشعب سوف يشارك زعماءه في الحياة حتى الموت، دون أن يخشى خطر الموت، ثم يركز على مسألة القيادة: تعبير القيادة يعني صفات الجنرال، من حيث الحكمة والصدق والإنسانية والشجاعة والانضباط، ثم يفسر هذا المفهوم بالإجراءات العسكريّة المواكبة.

والمناخ هو الإلمام بمتغيرات المناخ على مدى الليل والنهار، البرودة والحرارة، الأوقات والفصول الأربعة، الرياح والسحب.

أمّا الجغرافيا فتشمل التضاريس من أرض وجبال ووديان، المخاطر ومدى الأمان، الأراضي المفتوحة والممرّات الضيّقة، احتمالات النجاة والموت.

أمّا شخصيّة القائد أو مواصفاته يمكن القول: إنّ القائد يرمز إلى فضائل الحكمة والإخلاص "التفانيّ في العمل" وحُسنِ الخُلق والشجاعة والحزّم.

وهناك مواصفات أساسيّة، ونصائح مهمّة لمن يريد أن يكون قائداً ناجحاً، وهي :

- تحمل المسؤولية: إن أردت أنّ تكون قائداً فتحمّل مسؤولية نتائج أعمالك، وأعمال من تقودهم، استخدم سلطانك باتزان وببراعة وبروح المبادرة.

-اعرف نفسك: كنْ صادقاً حين تحكم على نفسك وجرّب الرّقي بها دوّماً، إنّ شعرت يوماً أنّك أفضل من في دائرتك، فلا تجهز بهذا الشعور.

– كن قدّوة للآخرين: فالمرؤوسون ينظرون إليك مثالاً للسلوك السويّ ولسلوكك، وأخلاقك، تأثيراً يفوق تأثير الإرشادات التي تقدمها أو النظام الذي تفرضه.

– طوّر قدرات مرؤوسيك: إن كنت واثقاً من نفسك فعليك أن تثق بقدرات الآخرين، أجب عن الطلبات ناصحاً، لكن لا تخضّ في التفاصيل، بل أتركها لهم.

– كنْ حاضراً: تأكد من معرفة العاملين لواجباتهم، وإن استفسروا منك عن الدّوافع وراء الواجبات فأجبهم، افسح لهم المجال ليتقدموا، ويحلّوا مشكلاتهم بأنفسهم، ولكن لا تبرم أمراً من غير استشارتهم.

–إعتن بسعادة الموظفين: تعرف على مشكلاتهم من أن أحداً، لا يعوق حصولهم على المساعدة المناسبة والأجور، واحترام شؤونهم الخاصة.

– إعلام كل موظف بما يجري: قم بإجراء يمنع الشائعات، فإنّها مدعاة للغضب وخيبة الأمل.

– لتكن أهدافك أهداف يمكن تحقيقها: فالأهداف غير الواقعية تؤديّ إلى الإحباط، وتجرح المشاعر، والأهداف المعقولة توصلك إلى النجاح سريعاً.

– اتخذ القرارات الصحيحة المحدّدة: وإن شعرت بأنّك أقدمت على قرار خاطئ، فكن شجاعاً وغيّرهُ قبل فوّات الأوان.

– افهم عملك: كن في المقدمة لتطّلع على ما يجري من أحداث تخص عملك، تحدث إلى الناس الذين حضروا مؤتمرات، أو من يبدون خبرة في مجالات تجهلها، ولا تألفها لا تتطلع إلى الماضي.

– هيء ظروف العمل الجماعي، حاول أن تكلف العاملين المشاريع كافة، حين يكون ذلك ممكناً ودرّب المستخدمين، ليدركوا ما يقدمون واطمئن إلى أنّ كلّ واحد فيهم يؤدي ما عليه، واحتفل بكل إنجاز.

أمّا النظام العام، فيقصد به طريقة تنظيم الجيش وتقسيمه بطريقة صحيحة إلى وحدات، وطريقة توزيع الرتب العسكريّة بين الضباط، وصيانة طرق الإمدادات التي تصل إلى الجيش، والتحكم في معدل الإنفاق العسكري.

ويشمل النظام العام توجيه وتنظيم الجيش، وإعطاء الرتب المناسبة للضباط، فضلاً عن التحكم في النفقات العسكريّة، إن هذه العوامل لابد أن تكون معروفة لكل

قائد عسكريّ، فمن يجيدها ينتصر، ولكي تتنبأ بنتيجة حرب ما، فإنّ هذه العوامل والخصائص يمكن تحليلها من خلال هذه المقارنات السبعة:

- أيّ قيادة عليّا تحتفظ بأعظم نفوذ أخلاقيّ ومعنويّ؟.
- من القائد الأكثر كفاءة؟.
- أيّ من الجانبين تتوافر له ظروف الأرض والمناخ المواتية؟.
- في أيّ الجانبين يتم تنفيذ القرارات على الوجه الأكمل؟.
- أيّ الجيشين يتفوّق في السلاح والعتاد؟ .
- في أيّ جانب يوجد الضباط والجنود المدربون أفضل التدريب؟.
- أيّ الجانبين أكثر صرامة وحيادية في تقدير المكافآت والعقاب؟.

هذه العوامل يجب أنّ تكون معروفة جيداً لأيّ قائد، فمن يلّم بها تماماً سيكون المنتصر، وغير ذلك سيفشل في تحقيق النصر.

لذا، في كل مشاوراتك، وفي طريقة تفكيرك للوقوف على أحوال أرض المعركة، اجعل هذه العناصر أساساً للمقارنة، على النحو التالي:

- أيّ من الحاكمين أكثر تمسكاً بعناصر القانون الأخلاقيّ؟.
- أيّ من القائدين أكثر قدرة وتدبيراً؟.
- لصالح أيّ الطرفين تميل عناصر السماء والأرض؟.
- أيّ الطرفين يتبع النظام العام بحذافيره؟.
- أيّ الجيشين أقوى "معنوياً ومدنياً وعتاداً"؟.
- ضباط أي الجيشين أكثر التزاماً بمبدأ الثواب والعقاب؟.

- ومن خلال نتائج هذه الأسئلة السبعة تستطيع معرفة من سيصيب النصر، ومن سينهزم؟.

القائد الذي يصغي لمشورتي ويعمل بها - سينتصر - ومن هم مثله يجب أن يستمروا في مواقع القيادة، القائد الذي لا يصغيّ لمشورتيّ، فلا يعمل بها - سيعانيّ من الهزيمة - ومن هم مثله يجب أن يصرفوا من الخدمة.

بينما تمضي لتستفيد من مكاسب أتباعك لمشورتيّ، احرص على الاستعانة بأيّ ظروف مواتية وعناصر مساعدة، تقع خارج نطاق المألوف والمعتاد.

بناء على مدى توافق الظروف، على المرء أن يعدّل خططه.

جميع الأمور نستطيع الهجوم - يجب أن نبدو كما لو كنّا عاجزين عنه، وعندما نناور ونتحرك بالقوات - يجب أن نبدو خاملين، وعندما نقترب - يجب أن نجعل العدّو يظنّ أنّنا قريبون - ابق لديك طعماً تغري به العدّو، تظاهر بانتشار الفوضى بين صفوفك - ثم اسحق العدّو.

إذا كان العدّو متحصّناً من جميع الجهات - استعد لملاقاته - إذا كان العدّو في حالة أفضل منك تجنبه.

فإذا كان غريمك سريع الغضب - احرصّ على مضايقته وإثارة غيّضه، تظاهر بالضعف حتّى يتمادى في غروره.

إذا كان يستريح، لا تعطه الفرصة لذلك، إذا كنت أنت تستريح - احرصّ على أن تنهك قوى عدوك أثناء راحتك.

اهجم بينما هو غير مستعدّ، اظهر في المكان الذي لا يتوقعك فيه.

هذه الوسائل العسكريّة تؤدي إلى النصر، فلا تفشِها قبل أوانها.

القائد الذي يفوز في المعركة يقوم بعمل الكثير من الحسابات في مركز القيادة قبل القتال، القائد الذي يخسر المعركة، يقوم بعمل القليل من الحسابات سلفاً، لذا فالكثير من الحسابات تؤدي إلى النصر، والقليل منها يؤدي إلى الهزيمة، بناء على درجة اهتمامك لهذه النقطة، أستطيع أن أتنبأ من سيفوز، ومن سيهزم.

ويمكن التنبؤ بنتيجة أيّ معركة من خلال تحليل الإجابة عن هذه الأسئلة السبعة:

أيّ قيادة عليّا تحتفظ بأعظم نفوذ أخلاقيّ ومعنويّ؟.

من هو القائد الأكثر كفاءة؟.

أيّ الجانبين تتوافر له ظروف الأرض والمناخ المواتية؟.

في أيّ الجانبين يتم تنفيذ القرارات على الوجه الأكمل؟.

أيّ الجيشين يتفوّق في السلاح والعتاد؟.

في أي جانب يوجد الضباط والجنود المدربون أفضل تدريب؟.

أيّ الجانبين أكثر صرامة وحيادية في تقدير المكافآت والعقاب؟.

الآن، وبعدما فقدت أسلحتك دقتها، وانهارت الروح المعنويّة العامّة، وخارت قواك واستنفدت مواردك، فسيبدأ بقية الحكام المجاورين لك في التطلّع لانتهاز فرصة تهوّرك وانهيّارك، وقتها لن يستطيع أحد - مهما كان حكيماً - أن يحول دون حدوث العواقب الوخيمة التي ستحدث نتيجة لذلك.

هكذا، ورغم إنّنا عرفنا الكثير عن حماقة التسرّع لخوض الحرب، فالمهارة الحربية لم تقترن أبداً بأيّ فترات تأخر طويلة "القائد غير الذكيّ لن ينتصر أبداً باستخدام القوة الغاشمة في سرعة تحرك كبيرة".

التحرك بسرعة كبيرة، قد تكون من الغباء، لكنه رغم ذلك يقلّل النفقات اليومية، يقلّل من تدهور معنويات الجيش، واستهلاك الطاقات، قد يكون التأنيّ والتمهّل من الحكمة، لكنّه يجلب معه الهدوء والسكون والخمول والكسل، إذا كانت سرعة التحرك تعتبر أحياناً عملاً طائشاً

"لا حكمة تنتظر منه"، فالتباطؤ يعتبر عملاً أحمق "سخيّاً"، بسبب ما يسببه الأخير من استنزاف لموارد الأمة.

لا توجد سابقة تاريخيّة تذكر أنّ بلداً ما قد استفاد من دخوله حروباً طويلة.

إنّ المخضّرم العالم بويلات إطالة الحروب، هو فقط القادر على فهم أهمية وجوب إنهاء الحروب بسرعة.

الجندي الماهر لن ينتظر ليحصل على راتبه مرة أخرى، ولن يتم تزّويده بالإمدادات أكثر من مرتين، أيّ عليه أن يُسرع فيدخل في قلب المعركة دون تباطؤ أو انتظار - يسبق بذلك خصمه.

الحب العتاد الحربي معك من خطوطك الخلفية، وأمّا المشرب والمطعم "المؤنة" فمن أرض العدو، هكذا سيكون لدى الجيش ما يكفيه من طعام وشراب.

نفاذ الخزانة العامة للدولة يتسبب في إمداد الجيش عن طريق التبرعات من مصادر بعيدة، ذلك يتسبب في إفقار موارد الشعب.

١ - أيّ عملية عليّا تحتفظ بأعظم نفوذ أخلاقيّ ومعنويّ؟.

٢ – من هو القائد الأكثر كفاءة؟.

٣ – أيّ الجانبين تتوافر له ظروف الأرض والمناخ المواتيّة؟.

٤– في أيّ الجانبين يتم تنفيذ القرارات على الوجه الأكمل؟.

٥ – أيّ الجيشين يتفوّق في السلاح والعتاد؟.

٦ – في أيّ جانب يوجد الضّباط والجنود المدرّبون أفضل تدريب؟.

٧– أيّ الجانبين أكثر صرامة وحياديّة في تقدير المكافآت والعقاب؟.

الفصل الثاني: شنّ الحرب

في حالة إدارة جيش ضخم يكون الهدف الرئيس هو النصر السريع، فإذا ما تأخرت الحرب ستتلف أسلحة الجند وتصدأ، وستخمد حماسة الرجال، وإن هاجم الجيش المدن، فسوف تنهك قواه، كذلك إن بدأ في شنّ حملات عسكرية طويلة وممتدة، فإن ثروات الدولة ستنفد دون جدوى.

إذا صدأت أسلحتك، وانطفأت حماستك، واضمحلت قوتك، ونفدت ثروتك، سينتهز الحكام في البلاد المجاورة هذه الفرصة، ومهما تكن درجة الحكمة، فلن يستطيع أحد تفادي العواقب الوخيمة الناتجة عن ذلك، وكما سمعنا عن الهجوم المتهوّر، لم نسمع عن عمليّة عسكريّة ذات خطة ماهرة استمرت طويلاً، فلم توجد أبداً حالة أفادت فيها الحرب الطويلة البلد أو الوطن.

إذا قررنا شنّ حرب، فلا بدّ أن تكون هذه الحرب خاطفة حاسمة، فإذا تأخر النصر يفقد الجندي روح القتال،

وينهار معنوياً وتخوّر عزائمه، وإذا حشد الجيش لمدة طويلة لا تكفي موارد الدولة لذلك، كما أنّ الجند يستسيغون النصر بسرعة، ويمقتون العمليات التي تطول.

في مجريات الحرب، حيث هناك في الميدان ألف مركبة حربية خفيفة وسريعة" للهجوم"، ومثلها من المركبات الثقيلة "للدفاع"، ومئة ألف جندي مشاة مدرّع، يحملون إمدادات أنفسهم للسرّ ألفّ لي، (لي هي وحدة قياس مسافة صينية تعادل الميل تقريباً)، وقتها ستبلغ النفقات العامة - في الداخل وعلى الجبهة - المتضمّنة ترفيه ضيوف الدولة والنثريات مثل نفقات الغراء والدهان، ونفقات صيانة العربات الحربية والدروع، تبلغ هذه النفقات ما يعادل ألف أونصّة فضّة في اليوم، "في زمنه هذا" وهذه هي تكلفة تجييش جيش قوامه ١٠٠ ألف رجل.

عند التحكم في قتال فعلي، وتتأخر بشائر النصر، فستبدأ أسلحة الجنود تفّقد دقّتها، ويتنافى حماسة أولئك الجنود، إذا حاصرت مدينة، فسترهق قواك.

مرة أخرى، إذا طال أمد حملتك العسكريّة، فموارد الدولة لن تعادل نزيف النفقات العسكريّة.

هكذا، ورغم أنّنا عرفنا الكثير عن حماقة التسرع لخوض الحرب، فالمهارة الحربية لم تقترن أبداً بأيّ فترات تأخر طويلة (القائد غير الذكي لن ينتصر أبداً باستخدام القوة الغاشمة في سرعة تحرك كبيرة) نعم، التحرك بسرعة كبيرة قد يكون من الغباء، لكنه رغم ذلك يقلل النفقات اليوميّة، يقلل من تدهور معنويات الجيش واستهلاك الطاقات، قد يكون التأني والتمهل من الحكمة، لكنه يجلب معه الهدوء والسكون والخمول والكسل، إذا كان النصر يمكن تحقيقه، فالتسرع الأحمق أفضل من التأني الماهر، إذا كانت سرعة التحرك تُعتبر أحياناً عملاً طائشاً(لا حكمة تنتظر منه) فالتباطؤ يعتبر عملاً "سخيفاً" بسبب ما يسببه الأخير من استنزاف لموارد الأمة.

لا توجد سابقة تاريخية تذكر أن بلداً ما قد استفاد من دخوله حروباً طويلة.

إنّ المخضرم العالِم بويلات إطالة الحروب، هو فقط القادر على فهم أهمية وجوب إنهاء الحرب بسرعة.

الجندي الماهر لن ينتظر ليحصل على راتبه مرة أخرى، ولن يتم تزويده بالإمدادات أكثر من مرتين (أيّ عليه أنّ يُسرع فيدخل في قلب المعركة، دون تباطؤ أو انتظار، فيسبق بذلك خصمه).

اجلب العتاد الحربيّ معك من خطوطك الخلفيّة، وأمّا المشرب والمطعم "المؤنة" فمن أرض العدّو، هكذا سيكون لدى الجيش ما يكفيّه من طعام وشراب.

نفاد الخزانة العامّة للدولة يتسبب في إمداد الجيش عن طريق التبرعات من مصادر بعيدة، ذلك يتسبب في افتقار موارد الشعب.

من ناحية أخرى، اقتراب الجيش "تلاحمه مع العدّو"، يتسبب في ارتفاع الأسعار الداخلية، ما يؤدي لاستنزاف ثروات الشعب.

عند نفاد ثروات الشعب، سيعانون بشدّة من الضرائب المفروضة عليهم، ومع ضياع الثروات وخوار القوى، تصبح بيوت الشعب شبه خاويّة، وسيتبخر ثلاثة أعشار دخلهم، بينما ستبلغ النفقات الحكومية لإصلاح العربات الحربيّة والدروع، والخوذات، والأقواس والأسهم، والرماح والتروس، واستبدال الجيّاد المنهكة والثيران المحمّلة، ستبتلع هذه النفقات أربعة أعشار الدخل العام.

هكذا فالقائد الحكيم سيعتمد على العدّو كمصدر للطعام والمؤنة، عربة واحدة محملة بمؤونة تعادل عشرين عربة من خطوط الإمداد (لأنّ وصول عربة واحدة للجبهة، يستهلك

محتويات 20 عربة)، وبالمقابل فإنّ ما وزنه بيكل "ما يعادل 5،65 كيلو غراماً" من طعام العدّو يعادل عشرين من مخازن الدولة، ولقتال العدو لا بد من إثارة غضب الجنود، ولا بد من توضيح مزايا الانتصار على العدّو، فلا بد وأن يحصلوا على مكافآتهم "نصيبهم من غنائم الحرب".

لذا عند الاستيلاء على عشر عربات حربية أو أكثر، يجب مكافآة أوّل من استولى على العربة الأوّلى، يجب استبدال أعلام العدّو المشرعة على تلك العربات بأعلامنا، ويجب خلط تلك العربات المستولى عليها بعرباتنا واستعمالها في القتال، يجب معاملة الأسرى من الجنود بطيبة والإبقاء عليهم.

هذا ما يُطلق عليه استخدام غنائم العدّو المقهور لزيادة قوّتنا الذاتية.

إذاً ليكن همّك الأوّل والأكبر في الحرب هو تحقيق النصر، لا إطالة أمد الحملات العسكريّة.

هكذا يمكن القول إنّ قائد الجيوش هو المتحكم في أقدار الشعب، فهو الرجل الذي يُعتمد عليه ما إذا كانت الأمة ستعيش في سلام أم في خطر.

الفصل الثالث: الهجوم بالخداع

تعتمد كل الحروب على الخدعة، حين تكون قادراً على الهجوم، فلا بدّ أن تتظاهر بعد القدرة على ذلك، وحين تهم بالتعبئة فلا بدّ أنّ تبدو غير مكترّث، وحين توّد الاقتراب لا بدّ أن تشعر الآخرين بأنّك بعيّد، والعكس صحيح.

قدم طُعماً لاستدّراج العدّو، وعند طعمه في مكسب صغير اِضربه الضربة القاضية قبل أنّ يتوازن من جديد، إذا كان مدججاً بالسلاح، رغم ذلك ضاعف من احتياطاتك، إنّ كان قويّاً حاول المراوغة وتجنبه، وإن كان ثائراً حاول تثبيط همّته، وإذا تظاهر بالخنوع والذّل، ازرع فيه الغطرسة والتكبّر، إذا ما أخذت قواته قسطاً من الراحة، يجب أنّ ترهقه بالهجمات المتلاحقة، إذا ما توحدت شتّتها، باغت العدّو في حالة ارتباكه، أيّ هاجم في الوقت غير المتوقع، هذه هي مفاتيح النصر الاستراتيجي، ومع ذلك فإنّها لا تتبلور إلا في الميدان.

وأخذ البلاد سالمة هو أفضل من تدميرها، وأسّر اللواء المعادي، هو أفضل من تدميره، كذلك الكتيبة والسرّيّة، لذلك فإن إحراز مئة انتصار في مئة معركة ليس هو الأفضل، بل إنّ إخضاع العدّو من دون قتال هو أفضل ما يكون، لذلك من الأفضل في الحرب ضّرب استراتيجيّة العدّو، ثمّ ضّرب تحالفاته، ثم مهاجمة جيوشه، وتجنّب مهاجمة المدن المحصّنة إلا عند الضرورة.

وهكذا فإنّ القتال والانتصار في جميع المعارك ليس هو قمّة المهارة، التفوّق الأعظم هو كسر مقاومة العدّو دون قتال.

إن جميع أعمال الحرب تقوم على الخداع، فعندما تكون قادراً عليك أن تدّعي العجز، وعندما تكون نشيطاً عليك أن تدّعي الخمول، وعندما تكون قريباً تظاهر بأنّك بعيد، وعندما تكون بعيداً تظاهر بأنّك قريب، قدّم لعدوّك إغراءٌ لخداعه، تظاهر بالفوضى واضربه، عندما يركز، استعد ضده، عندما يكون قويّاً تحاشاه، عليك أن تستفز قائده الجنرال وأن تربكه، تظاهر بالشعور بالنقص، وشجع غطرسته، عليك أن تواصل الضغط عليه، وأن تستهلكه، وعندما تراه موحداً فرّق بين صفوفه، هاجم عندما تراه غير مستعدّ، لا تطلق عندما لا ينتظرك العدو.

ويرى "أتزو" أيضاً، أن من يعرف عدوه ويعرف نفسه يقود مئة معركة من دون خطر، ومن لا يعرف عدوه، ولكنه يعرف نفسه فقد يحرز نصراً ويلقى هزيمة، ومن لا يعرف عدوه ولا يعرف نفسه يكون في دائرة الخطر في كل معركة.

ويرى "سون أتزو" أيضاً، أن مَن يعرف عدّوه ويعرف نفسه يقود مئة معركة من دون خطر، ومَن لا يعرف عدّوه ولا يعرف نفسه، فقد يحرز نصراً، ويلقى هزيمة، ومَن لا يعرف عدّوه، ولا يعرف نفسه يكون في دائرة الخطّر في كلّ معركة.

القاعدة في الحرب أنّه إذا كانت نسبة قواتنا إلى العدو 10 إلى واحد، فحاصر العدّو، وإذا كانت خمسة إلى واحد فهاجمه فوراً، وإذا كانت الضعف فيجب تقسيم جيشنا إلى نصفين (النصف الأوّل قد يستخدم في القتال، بينما الثاني في الخداع، أو نصف يهاجم من المقدمة بينما الثاني يهاجم المؤخرة).

القائد هو حصّن الدولة، فإذا كان هذا الحصّن كاملاً من جميع الجهات، فالدوّلة ستكون قويّة، أمّا إذا كان هذا الحصّن به عيوب، فالدولة ستكون ضعيفة.

هناك طرق ثلاث بها يجلب الحاكم المحنّ على جيشه:

1 – إصدار الأوامر للجيش بالتحرّك أو التقهقر، جاهلاً بحقيقة أن الجيش غير قادر على إطاعة الأمر، هذا ما يسمى إعاقة الجيش "استخدام كلمة حاكم يُقصد بها صاحب الأمر في الخطوط الخلفية، فإدارة الجيوش يجب أن تتم من بعد، وليس من على خط المواجهة".

2 – قيادة الجيش بذات الطريقة التي يُحكم بها الدولة، جاهلاً بالظروف التي يواجهها الجيش، ذلك يسبب الضيّق والقلق في نفوس الجنود.

3 – تعيين الضباط في جيشه دون تفرقة "لا يضع الرجل المناسب في المكان المناسب" بسبب جهله بالأعراف العسكريّة المتعلّقة بالتكيّف حسب الظروف المحيطة، ذلك يهزّ ثّقة الجنود في الحاكم.

وأخيراً، إعرف عدوك واعرف نفسك، تستطيع أن تخوض مئة معركة، دون المجازفة بهزيمة واحدة، وحين تكون جاهلاً بالعدّو وعارفاً بنفسك، فإن فرص النصر والهزيمة تكون متساوية، إمّا أنّك لا تعرف نفسك ولا عدوك ستُهزم في كل المعارك هزيمة نكراء.

الفصل الرابع: المناورات التكتيّكيّة

اقتلاعك لشجرة ضعيفة لا يعني قوتك، وسماعك لقصف الرعد لا يعني أنّك حادّ السمع، ورؤيتك للشمس لا تعني أنّك حادّ النظر.

فالحرب لُعبة فنيّة، وعلى من يخوّضها أن يعرف كيف – يلعبها – بمهارة وحرّفنة، فالجيش المنتصر لا يدخل الحرب مع العدّو، إلا عندما يكون النصر مؤكداً.

فمهارة الدّفاع تكّمن في التخفيّ في المواقع الأكثر سرّيّة وعزّلة تحت الأرض، ومهارة الهجوم تكّمن في السرعة الشدّيدة والمفاجأة.

وهكذا تكون عناصر فن الحرب هي:

تقدير المسافات: حيث يتم قياس المسافات الأرضيّة.

تقدير الكمية: حيث تحسب القياسات.

حسابات الأرقام: حيث تحسب الكميات.

مقارنات القوّة: حيث تكون المقارنة في قوّة الأعداد المتحاربة.

فرص النصر: وتأتي بالمقارنة فيكون النصر حليف الأقوى.

ويجب ملاحظة تحركات الجيوش المتحاربة ذهاباً وإياباً، جنباً إلى جنب، من أجل اكتساب معلومات عن الطرف الآخر.

المقاتل الجيد يُحصّن نفسه ضد الهزيمة (عبر إخفاء تحركاته وأثره، واتخاذ إجراءات أمنية احترازية دائمة ومشددة)، لكنه لا يستطيع تأكيد إمكانية هزيمة العدّو (العدّو هو من يهزم نفسه).

التحصّن ضد الهزيمة يستلزم اتباع التكتيكات الدفاعيّة، وأمّا القدّرة على هزيمة العدّو فتعني انتهاز الفرصة (من لا يستطيع قهر عدّوه عليه اتخاذ الوضع الدفاعيّ).

اتخاذك الوضع الدفاعيّ يشير إلى قوّة غير كافية، بينما الهجوم يستلزم توفر القوّة الزائدة.

القائد العسكريّ الماهر في الدفاع يختبئ في سابع أرض "النصّ الصينيّ يذكر تاسع أرض، وهي كنايّة عن أكثر الأماكن سريّة وكتماناً"، والقائد العسكري الماهر في

الهجوم ينقضّ كالبرق من أعالي السماء "السماء التاسعة كناية عن السرعة الكبيرة، والقدوم من أماكن غير متوقعة، بما لا يدع أيّ فرصة للعدو للاستعداد".

القائد شديد البراعة يراعي القانون الأخلاقيّ، ويلتزم بشدة بالنظام العام، وهكذا يصبح بإمكانه التحكم بالنصر.

كما أنّ قمّة التميّز ليست هي أن تحارب وتقهر، ثم تقول لك الدولة "حسناً فعلت – سلمت يداك" ولكن قمة التميّز هي التخطيط بسرّيّة كاملة، وأن تتحرّك بحذّر شدّيد، وأن تحبط نوايا العدّو وتفسد مخططاته، وأن تنتصر عليه دون إراقة قطرة دم واحدة.

أن ترفع شعرة رفيعة من فراء أرنب بريّ، في موسم الخريف لا يعني القوّة العظيمة "مثل شائع في اللغة الصينية ويعني أدق شيء" رؤية الشمس والقمر، ليست علامة البصر الحاد، وسماع الرعد ليست علامة السمع الحادّ.

الفصل الخامس: القوّة والزخم

إمرةُ أشخاص عديدين هي كإمرة أشخاص قليلين، إنّها مسألة تنظيم، كذلك مقاتلة أشخاص عديدين هي كمقاتلة أشخاص قليلين، إنّها مسألة إشارات.

إنّ مبادئ إدارة قوّة كبيرة كمبادئ إدارة قوية قليلة العدد، فهي فقط مسألة تنظيم، وكما توجّه جيشاً كبيراً للقتال تستطيع توجيّه جيش صغير، فهي مسألة إصدار أوامر وإشارات، ويرجع استيعاب الجيش كلّ عمليات العدّو للنجاح في العمليات التي تقوم بها القوات الخاصّة، وبقية قطاعات الجيش، وعند اندفاع القوات بأعداد كبيرة، فإنّها تضرب العدّو كما تضرب الحجر الأبيض فهو خير مثال على ضرب القويّ الضعيف.

ويجب أن يستعمل القائد في المعركة القوات الأساسيّة لتقاتل العدّو، والقوات الخاصة لتحقيق النصر، إنّ استخدام

القائد الماهر للقوات الخاصّة هو استخدام موارد لا تنضب كموارد الماء والأرض.

إنّ طريقة تنظيم وإدارة قوّة كبيرة هي ذاتها طريقة تنظيم وإدارة فرقة صغيرة مكوّنة من بضعة رجال: إنّها مسألة تقسيم العدد الكبير إلى مجموعات صغيرة(تقسيم قوات الجيش إلى فرق وسرايا وفصائل ومجموعات ووحدات، مع تعيين قائد لكل وحدة).

للتأكد من أن جيشك يستطيع تحمل وطأة هجوم العدّو، ويبقى متماسكاً غير مهزوز، يتحقق ذلك من خلال القيام بمزيج من المناورات المباشرة، والمناورات غير المباشرة، من أجل إرباك العدو (هدف المناورات العسكرية وقت الحرب هو تضليّل العدّو فلا يعرف نوايانا الحقيقيّة)؟.

في جميع أوجه القتال، يمكن انتهاج الطريقة المباشرة من أجل الانضمام إلى المعارك، أمّا الطرق غير المباشرة، فيتم اللجوء إليها من أجل تأمين النصر.

معين التكتيكات غير المباشرة - في حالة تم تطبيقها بكفاءة - لا ينضب أبداً، تماماً مثل السماء والأرض، لا نهاية لها، مثل جريان الأنهار وفيضان العيون، مثل الشمس والقمر اللذان ينتهيان فقط ليبدأا من جديد، مثل الفصول الأربعة، التي تمر فقط لتعود من جديد.

ليس هناك أكثر من خمس علامات موسيقية، ورغم ذلك فإنّ مزج هذه الخمسة ساعد على تأليف ما لا يمكن عدّه من القطع الموسيقية والألحان، وبأكثر مما يمكن سماعه على الإطلاق.

ليس هناك أكثر من خمسة ألوان أساسية "أزرق، أصفر، أحمر، أبيض، أسود" ورغم ذلك فإنّ مزج الألوان معاً يخرج لنا تدرجات لونية بأكثر مما يمكن رؤيته.

ليس هناك أكثر من خمس نكهات أساسية: حلو، حامض، حريف، مالح، مرّ، ورغم ذلك فإنّ مزجها يخرج لنا نكهات بأكثر مما يمكننا تذوّقه.

في ساحة المعركة، ليس هناك من طريقتان للهجوم: مباشرة وغير مباشرة، ورغم ذلك فإنّ مزج هاتين الطريقتين ينتج عنه سلسلة لا نهائية من المناورات الممكنة.

يؤدي استعمال الطريقة المباشرة للوصول للطريقة غير المباشرة، ويؤدي استعمال الطريقة غير المباشرة للوصول للطريقة المباشرة، تماماً مثل التحرّك في دائرة متصلة، حيث لا تصل أبداً إلى نهاية، وبالتالي لا يستطيع أحد أن يصل لنهاية الاحتمالات الناتجة عن مزّج هاتين الطريقتين.

تشبه دقّة توقيت اتخاذ القرار الصائب من القائد تلك الدّقة التي ينتهجها الصقر عندما يهجم كالبرق على فريسته، في دقّة فائقة، تمكّنه من الإمساك بها وتدميرها(هذه الدّقة ناتجة من سنّ قياس، وتقدير المسافات، وخط سير الفريسة، وتوقع ردّ فعلها للهجوم).

المقاتل البارع يبحث في آثار اتحاد القوات، ولا يتوقع الكثير من الأفراد (يُقدر مدى قوة جيشه ككل، ثم يأخذ المهارات والمواهب الفرديّة في الحسابات، ثم يستعمل كل فرد في الجيش حسب قدراته، ولا يطلب بلوغ الكمال من غير الموهوبين)، وبذلك يصبح قادراً على اختيار الرجال المناسبين والاستفادة من اتخاذ القوات.

عندما يستفيد من اتخاذ القوات، يصبح مقاتلوه مثل الصخور المنقضّة، لأنّ طبيعة الصخور البقاء في أماكنها، ما دامت فوق سطح مستوٍ، وطبيعتها أنّ تخرّ من علٍ إذا وضعتها فوق منحدر، إذا كانت الصخرة على شكل مربع، فستتوقف سريعاً، وأمّا إذا كانت ذات شكل دائريّ، فستنتفض بسرعة متزايدة في نزولها.

وبالتالي فإنّ الطاقة التي تتجلّى من خلال الرجال المقاتلين الباسلين، هي مثل القوّة الدافعة التي يكتسبها الحجر

الدائريّ الصغير المتدحّرج من قمّة جبل يرتفع آلاف الأمتار، هذا موضوع الطاقة "أيّ أنّه يمكن تحقيق نتائج عظيمة عن طريق قوات قليلة العدد".

الفصل السادس: نقاط الضعف ونقاط القوة

إنّ الجيش الذي يحتل ميدان المعركة وينتظر ملاقاة عدوّه، يكون مطمئناً وقادراً على ملاقاة الخصّم، على عكس من يلحق بالمعركة متأخراً، يكون متعجلاً ومرهقاً، ولهذا فإنّ واحدة من مهارات الحرب هي أن تجبر العدّو على ملاقاتك، لا أن يجبرك على ملاقاته.

من يصل أوّلاً إلى أرض المعركة، وينتظر العدّو يكون مرتاحاً، ومن يصل متأخراً، ويندفع للقتال يكون منهكاً.

لذلك المقاتل الجيد يستدرج العدّو إلى أرض المعركة، ولا يدع العدّو يستدّرجه، وذلك بالتلويح له بفائدة ما.

لمنع العدّو من المجيء إلينا يجب صدَّ تقدمه، وعندما يرتاح العدّو نتعبهُ، وعندما يرغب في سدّ رمقه يجب جعله يتضوّر جوعاً.

فإن طريقة تحقيقه "القائد الماهر" للأسبقية، يمكنه إجبار العدّو على الاقتراب منه كما يريد له، أو -عن طريق

إلحاق الخسائر به - يمكنه جعل الأمر مستحيلاً على العدّو أن يقترب منه (في الشق الأوّل سيقدم للعدّو طعماً، وفي الثاني سيضرب العدّو في أماكن مؤلمة تجبر العدّو على التخندق للدفاع).

احرص على الظهور في نقاط يجب على العدّو الإسراع لكي يدافع عنها، وسرّ بأقصى سرّعة إلى الأماكن التي لم يكن يُفترض بك التواجد فيها.

يمكن لأيّ جيش قطع المسافات الطويلة، دون أيّ قلق نفسيّ أو كرب، هذا إذا سار خلال طرق لا يتواجد فيها العدّو.

يمكنك الوثوق في نجاح هجومك فقط، إذا هاجمت الأماكن غير المحروّسة "النقاط الضعيفة"، يمكنك كذلك ضمان دفاعاتك، إذا تمسكت بالنقاط التي لا يمكن الهجوم عليها (هذه الجملة مبهمة، على أن المعلقين يشرحونها بطريقة أخرى، لكي تجعل دفاعاتك قوية - يجب عليك الدفاع وتحصين كل الأماكن – حتى تلك التي لا تتوقع الهجوم عليها، يجب أن تزيد من تحصينك لها).

القائد الماهر في الهجوم لا يعرف خصمه، ما الذي يجب عليه الدفاع عنه، وأمّا القائد الماهر في الدفاع فلا يعرف خصمه، أين، وكيف يهاجمه؟.

يمكنك التقدم بطريقة تجعل مقاومتك مستحيلة، إذا قصدت نقاط ضعف العدّو، يمكنك التراجع والنجاة من مخاطر مطاردة العدّو لك إذا كانت تحركاتك سريعة، أسرع من العدّو.

إذا كنت تريد القتال، يمكنك دفع العدّو للالتحام حتّى ولو كان يحتمي خلف متاريس عاليّة وخنادق عميقة، كلّ ما علينا فعله هو الهجوم على الأماكن والمناطق التي تجبره على الخروج من مكمّنه ليدافع عنها (إذا كان العدّو هو الغازيّ، يمكنك قطع خطوط اتصالاته، واحتلال الطرق التي يعتمد عليها في العودة، ما يضطره للعودة لتأمينها، إذا كنت أنت الغازيّ، ركّز هجومك على حاكم بلاد العدّو نفسه).

إذا كنت لا ترغب في القتال، اِخدع العدّو، يمكننا منع العدّو من الالتحام معنا من خلال ترك آثار لمعسكراتنا بالكاد، يمكن تتبعها على الأرض، كل ما نحتاجه هو أن نرميّ بشيء غريب مفهوم، وغير مفهوم، وغير متوقع، منا في طريق العدّو.

عبر اكتشاف مناورات العدّو، وأماكن تجمعه، مع بقائنا مختفين عن الأنظار، يمكننا إبقاء قواتنا مركّزة ومكثّفة، بينما يجب تفريق وتقسيم العدّو(إظهار العدّو نفسه لنا يمكننا

من تركيز القوات، بينما بقاؤنا مختفين عنه يضطره لتقسيم قواته، تحسباً لأيّ خطوة يمكن لنا أن نتخطاها).

بإمكاننا تجميع جيش ذيّ جسد وقوام واحد، بينما يجب تقسيم العدّو إلى فرق وكسور، بذلك نكون جمعاً واحداً متوحدين ضد عدّو متفرّق مشتت، ما يجعلنا كثرة متّحدة ضد قلّة متفرّقة.

تحدّد المياه مسارها وفقاً لطبيعة الأرض التي تنساب فوقها، والجندي يعمد إلى توفير أسباب النصر وفقاً للعدّو الذي يواجهه.

الماء لا يتخذ شكلاً ثابتاً مستديماً، كذلك الحرب لا تعرف شروطاً، أو أحوالاً ثابتة.

من يستطيع تعديل تكتيكاته بناء على خصّمه، محققاً بذلك النصر، فهذا القائد هو هديّة السماء.

العناصر الخمسة "الماء، النار، الخشب، المعدن، الأرض"، لا تهيمن أو تسوّد بشكل منتظم، كما إن الفصول الأربعة تعطي المجال لبعضها البعض في التعاقب، كما أنّ هناك الأيام القصيرة والأيام الطويلة، والقمر له منازله التي

ينير فيها، وتلك التي يختفي فيها تماماً، أراد "سون أتزو" ضرب المثل "أنّ الحرب - مثلها مثل كلّ شيء في الطبيعة - لا تعتمد على عوامل ثابتة جامدة، بل عوامل متغيّرة بطبيعتها".

الفصل السابع: المناورة

أثناء الحرب يحصل القائد العام على الأوامر من القائد الأعلى، وتتم التعبئة وتحريّك الجيش وانتشاره، حيث يكون على أهبة الاستعداد.

ثم تأتي أصعب الخطوط في العمليات العسكريّة، وهي فن المناورة العسكريّة.

وتكمن صعوبة المناورة في تمهيد الطرق الملتوية، وتحويل السلبيّات إلى إيجابيّات، من لا يعرف خطط العدّو، لا يمكنه الاقتراب منه قبل المعركة.

ومن يجهل معالم الغابات والجبال والممرات الضيّقة الوعرة والمستنقعات، لا يمكنه قيادة جيشه في السير نحو العدّو.

من لا يلجأ إلى الأدلاّء المحليّين، لا يمكنه الاستفادة من الجغرافيّا.

وبما أنّ الحرب خدعة، تحرّك عندما يكون ذلك في مصلحتك.

واخلق التغييرات في الوضع عن طريق نشر القوى أو حشّدها.

من تحيّنَ استغلال الطّرق الملّتوية والطّرق المستقيمة في التقدّم يحّرز النصّر.

وهذا هو فنّ المناورة في التقدم.

وفي الميدان كن سريعاً كالريح.

صامتاً كالغابة.

ضارياً كالنار.

وثابتاً كالجبل.

الفصل الثامن: تنويع التكتيّكات الحربيّة

القائد المحنّك ذوّ التفكير المدروس، لا بد أن يأخذ في الاعتبار العوامل المناسبة وغير المناسبة عند الهجوم.

أثناء الحرب يحصل القائد العام للقوات على الأوامر من القائد الأعلى، ويعلن التعبئة، ويحرك الجيوش، ولا يتحرك بجيوشه إذا كانت الأرض وعرة، لكنه يحاول الاتحاد مع الحلفاء، إذا كانت الأراضي خطرة.

إن كان في أرض محاصرة يلجأ للخدع الحربية، فهناك بعض الطرق التي يجب ألا تسلكها، وبعض الجيوش التي يجب أن تهاجمها، وبعض المدن التي يجب عدم الاعتداء عليها، وبعض الأراضي التي لا يصحّ النزاع عليها لعدم صلاحيتها، وبعض الأوامر من القيادة العليا التي لا يجب تنفيذها.

جرت العادة، عند قيام الحرب أن يتلقى قائد الجيش أوامره من الحاكم، فيجمع جنوده، وعلى القائد أن لا يقيم مخيمه في مكان وعر وخطر، وأن لا يتأخر في أرض مقفرة

وجرداء، وأن يوفر الخطط للنفاذ من أرض محاصرة، كما يوصيّ "أتزو" بالقتال على الأرض التي تهدّد بالموت، يعقد التحالفات حيث تقاطع الطرق، وهو يرى أنّ هناك طرقات يمكن المرور بها، ولكن على الجيش ألا يسلكها، وهناك جيوش لا يجب مجابهتها، ومدن لا يجب مهاجمتها، كما أنّ ثمّة أوامر من الحاكم لا حاجة إلى تنفيذها في بعض الأحوال.

وفي الفن العسكري مبدأ مفاده، أن لا نفترض أنّ العدوان يأتي، وأن نعتمد على استعدادنا لمواجهته.

عندما تخوض في بلد صعب (ليس فيه مصادر مياه أو طعام، ذي تضاريس منخفضة)، لا تضرب معسكرات فيه، اتحد مع حلفائك في بلد تتقاطع فيه الطرق الواسعة (بمعنى سهولة التنقل)، لا تتسكع في أماكن خطيرة ومعزولة، إذا كنت في أراض مُحاطه ومحاصرة، الجأ للخداع، إذا كنت في موقف يائس(أرض الموت) فيتحتمّ عليك القتال.

باتخاذ العناصر المواتية في الحسبان: تصبح الخطة الحربيّة قابلة التنفيذ، باتخاذ العناصر غير المواتيّة في الحسبان: يتم تذليل الصعاب والمخاطر والبحث عن حلول (إذا أردت أن أستغل نقطة ضعف للعدّو، يجب أن أحسب كذلك ردّ فعل العدو الانتقاميّ جراء ذلك، ثم احسب المزايا والعيوب

الإجمالية)، بذلك قد تنجح في تحقيق الجزء الأساس من مخططنا العام.

من الناحية الأخرى، إذا كنا - في خضم مشاكلنا - مستعدين لانتهاز أيّ فرصة قد تتاح لنا، فيمكننا أن نُخرج أنفسنا من مأزقنا.

لتقلل من عدد الأعداء - ألحق بهم الدّمار - وسبب لهم الكثير من المشاكل، اِجعلهم دائماً مشغولين بمشاكلهم الداخليّة، قدّم لهم الإغراءات الخادعة حسنة المظهر، واجعلهم يسرعون للخروج إلى أيّ مكان وراءها، وإلحاق الدمار ليس مقصوراً على الأذى البدنيّ، ابذل الإغراءات الكثيرة لأفضل وأحكم رجال العدّو، فيصبح بدون مستشارين، اِملأ بلدهُ بالخوّنة الذين يقيّضون نظام حكمه، قم بترتيب المؤامرات والخدع، وازرع الشّك بين الحاكم وبين وزرائه، مستخدماً كل حيّلة ذكيّة، تسبب في حدوث التلّف والتدهّور في ثروات شعبه وخزانته، افسد أخلاقه عبر هدايا ماكرة تؤدي به إلى الجشع وطلب المزيد والمغالاة، ازعج باله، ولا ترحه بتقديم امرأة لعوب فاتنة الجمال لهُ، غرّر به فاجعلهُ يخرج بجنودهِ إلى مكان تُلحق به شديّد الأذى "المناورات كبيرة عدد الجند تستنزف من موارد الدولة، ارهق خزينته العامة، وبدّد موارده

وأصوله الماليّة، احرص على بثّ روح الفرّقة بين صفوفه، ولا تسمح له بالوحدة الداخلية".

يعلمنا فن الحرب، ألا نعتمد على فرضية عدم هجوم العدّو، بل أن نجهّز أنفسنا لملاقاته، ليس اعتماداً على فرضية عدم قيامه بالهجوم، بل على حقيقة أنّنا جعلنا موقفنا العسكريّ صلباً، لا شكّاً في قوته.

يحدد "أتزو" خمسة أخطاء خطيرة تؤثر على القائد العسكري، منها الطيش والتهوّر المؤدي إلى الهلاك، ويلزمه التروّيّ، وألا يقابل العدّو بالقوّة الغاشمة، والشجاعة وحدها لا تكفي، لتحقيق النصر، إذ يلزمها العقل والتدبر والترويّ، وحساب العواقب، وكذلك حالات الجبن الذي يؤدي إلى الأسر، ويستلزم أيضاً حدّة طبع متسرعة يمكن استثارتها بسهولة عبر الإهانات، وأن يبتعد القائد عن الحساسية المفرطة تجاه الشرف والسمعة تسبب الخوف الشدّيد من الخزي والعار، وأيضاً يتطلب من القائد القلق المفرط بالحفاظ على حياة الجنود، وعدم الرغبة في المخاطرة بحياتهم.

الفصل التاسع: فن تحريك الجنود

بصفة عامة فإنّ من أسس الحرب والمناورة أنّ تفضّل الجيوش الأرض المرتفعة، والأماكن المشّمسة، فإن أقام جيش بأرض مرتفعة، معسكراً قريباً من الماء والخضرة مع وجود إمدادات كافية، يقيّ نفسه من أمراض لا حصر لها، وهكذا يُسجل النصّر، وحين تقترب من تلال، أو خنادق، أو أرصفة نهرية مشمسة، يستفيد الجيش من كلّ هذه المزايا، ومن موارد الأرض المتاحة له، وحين تسقط الأمطار الغزيرة، ويزداد ارتفاع منسوب النهر لا تعبره حتى يخفّ، وإذا وجدت السيول المندفعة والآبار والشقوق والشباك والفخاخ، يجب أن تزحف بعيداً عنها، ولا تقترب منها، وبينما تبتعد عنها لا بد أن العدّو نحوها.

كان أوّل ما يفعله المقاتلون المّهرة في الماضي هو بقاؤهم في حالة اللاغلبة على المقاتل، لكن سقوط العدّو يكمن في ثغرات العدّو ذاته، فالمقاتلون المّهرة يحافظون على حالة

اللاغلبة، لكنّهم لا يقدرون على جعل العدّو هدفاً سهلاً، لذلك يمكن القول بأنّ المرء قدّ يعرف كيف يحّرز النصر، ولكنّه قدّ لا يستطيع.

تكمن حالة اللاغلبة، أو عدم الهزيمة في طريقة الدفاع؛ فإمكانية النصّر تكون في الهجوم، دافع عن نفسك إذا كانت قوّة العدّو تفوّقك، وهاجمه حين تكون هذه القوّة غير كافيّة.

يجب أن يكون تحريك الجند مطابقاً لفن الخداع الحربيّ، فعندما تكون القوّة عشرة أمثال قوّة العدّو، فلا بدّ من إحاطته وتطويّقه، وعندما تكون القوّة خمسة أمثال قوّة العدو، فلا بدّ من مهاجمته، وإن كانت القوّة ضعف قوّة العدو تناوشه، وفي حالة تساوي القوتين، لا بدّ أنّ تكون قادراً على تقسيم قوات العدّو، فيجب تشتّيتها، وإن كانت القوّة أقل من العدّو، فيجب أن تكون قادراً على الدفاع عن نفسك، وإن كانت الظروف غير مواتية من كافة النواحي، فليس أمامك سوى مراوغة العدّو.

قبل تحريك الجيش لمواجهة العدّو، لا بدّ من إجراء استطلاع دقيق.

اخترق الجبال، وابق بالقرب من الوديان، واقم المخيم على مرتفع، وعندما يتمركز العدّو في موقع مرتفع لا تهاجم صعوداً.

بعد عبور النهر، ابتعد عنهُ، ولا تهاجم العدّو عند حافّة النهر، دعّه يعبر حتى نصفه، وهاجمه في الأرض المنبسطة، احتل موقعاً يسهل عملك، واجعل الجبال خلفك، وعلى ميمنتك ومؤخرتك محميّة.

عندما تشاهد العصافير تتطاير من دغل، فالعدّو يعد كميناً، وعندما ترتفع سحب الغبار فجأة وعمودياً، فالعربات قادمة، أمّا إذا ارتفعت سحب الغبار منخفضة وكثيفة وعريضة، فمشاة العدّو يقتربون.

ويرى "أتزو" أنه عندما يفاوض العدّو بكثير من التواضع، في حين يتابع استعداداته فهو سيهاجم، وعندما يتحدث مفاوضوه بشكل مخادع واستفزازي، بينما وحداته تتقدم بشكل استعراضي، فهو على وشك الانسحاب.

الفصل العاشر: التضاريس

يمكن تصنيف الأرض وفق طبيعتها إلى: سهلة، محفوّفة بالمخاطر من دوّن فائدة، ضيّقة، وعرة وشاسعة.

وعلى القائد الجيد الاستعلام عنها بعناية واتخاذ الخطط الملائمة لطبيعتها.

إنّ تطابق الأرض مع الخطة العسكرية ضروريّ جداً.

اعرف نفسك، واعرف عدوّك، هذا يعني أنّ النصر مؤكد.

اعرف الأرض، واعرف الطقس، فهذا يعني أنّ النصر شامل.

ويمكن تقسيم التضاريس إلى ستة أنواع:

الأراضي سهلة المنال "ذات طرق معبدة، وطرق اتصال متعددة".

الأراضي المحفوّفة بالمخاطر" التي إن دخلتها وقعت في فخ يسهل نصبه لك".

الأراضي المُعوَّقة "الأراضي التي تؤخرك، وتؤخر من يأتي على أثرك".

الممرّات الضيّقة.

المرتفعات الخطرة.

المواقع شديدة البعد عن العدّو.

قد لا يتفق واقعنا المعاصر مع هذا التقسيم، إلا أنّه يظل يخبرنا عن طريقة التفكير العسكريّ الصينيّة القديمة.

أمّا الأراضي التي يمكن عبورها بسهولة من كلا طرفيّ القتال، نسميها سهلة المنال، مع أراض هذه طبيعتها، يتعين عليك أن تحتلها قبل العدّو، وخاصّة المناطق المرتفعة المشّمسة "ذات مستوى الرؤية الأكبر"، واحرص على حماية خطوط إمداداتك فيها، وقتها يمكنك القتال ومعك الأفضلية، إنّ سر الانتصار في الحرب يكمن في متانة الإمداد والاتصالات "نابليون بونابرت" مثالاً.

إذا كانت الأرض يستحيل على الطرفين إحكام السيطرة عليها من خلال اتخاذ الخطوة الأوّلى، فهذه نسميها المُعوّقة، وبالنسبة للمرتفعات الخطيرة، وإذا كنت تسبق

الخصم، فعليك باحتلال النقاط المرتفعة والمشّمسة، ثم اقبع في انتظار العدّو.

المهالك الستة للجيوش:

تتعرض الجيوش لستة أنواع من المهالك - المخاطر - لا تنشأ من الأسباب الطبيعية، لكن من أخطاء قيادية، يتحمل مسؤوليتها القائد العسكري، وهي:

الاندفاع - الانهيار - الفرار.

التمرّد وعصيان الأوامر.

الانهيار الداخلي، وفقدان الشجاعة.

الخراب.

انهيار التنظيم.

الهزيمة المنكرة.

عند تساوي بقية المؤثرات وحيادها، وتم الزّج بقوّة عسكريّة ما، ضد قوّة عسكريّة أخرى أقوى منها بعشرات المرات أو تزيد، فالنتيجة هي حدوث حالة من الاندفاع غير المحسوب للفرقة الأوّلى.

إذا كان الجنود العاديون أقوياء، بينما ضباطهم ضعفاء، فالنتيجة الحتمية هي حدوث حالة من التمرّد والعصيان

الجماعيّ للأوامر بين الجنود، أمّا عند حدوث العكس، فستنشأ حالة من الانهيار الداخلي، وفقدان الشجاعة والضعف العام.

عندما يعجز القائد عن تقدير قوّة العدّو، فسيصبح لقوّة صغيرة بقتال قوّة أكبر منها، أو يدفع بفصيلة ضعيفة بسرعة تجاه أخرى أقوى منها، ويهمل وضع أفضل الجنود في الصفوف الأمامية، فالنتيجة هي الهزيمة المنكرة.

التنظيم السويّ للدولة هو أفضل حليف للجندي، وأمّا القدرة على حسن تقدير قوّة الخصم، والتحكم في الأسباب المؤدية إلى النصر، وحسن حساب الصعاب والمتاعب والعقبات، والمخاطر والمسافات، فتلك التي تضع قدرات القائد العظيم تحت الاختبار.

وهكذا تصح المقولة: إذا عرفت عدوك، وعرفت نفسك، فالنصر لن يصبح محلّ شكٍ، إذا عرفت طبيعة سماء وطبيعة أرض المعركة، فأنت تجعل انتصارك كاملاً.

الحادي عشر: ساحات المعركة التسع

فن الحرب يعرف تسعة أنواع من الأراضي:

الأرض المُشتّتة "التي تُشتت".

الأرض السّهلة.

الأرض التي تستحق مشقّة الاستيلاء عليها.

الأرض المفتوحة.

أرض تقاطعات الطرق.

الأرض الخطرة.

الأرض الصعبة.

الأرض المُحاطة.

الأرض الميئوس منها/المُهلكة.

عندما يقاتل القائد على أرضه، فهو يقف على أرض مُشتّتة (سميت كذلك لأنّ الجنود يعلمون قربهم من أرضهم

وبيوتهم، وهم حتماً في حالة شوق للعودة إلى زوجاتهم وأبنائهم، ولذا ستهزمون الفرصة التي تسنح أثناء القتال، لينتشروا في الأرض متشتتين في كل الاتجاهات فارّين إلى وطنهم).

الأرض التي يجلب الاستيلاء عليها، المنفعة لكلا طرفي الصراع، هي أرض تستحق مشقّة الاستيلاء عليها، "تشمل الأرض التي يستطيع القلّة والضعفاء الدفاع عنها، بل والانتصار فيها على الأقوياء، مثل الممرّات الضيّقة".

الأرض المفتوحة هي تلك التي يستطيع كلا الطرفين التحرك فيها بحرية كاملة، تدعمها شبكة طرق متصلة ومتقاطعة.

الأرض التي لا يمكن الوصول إليها إلا عبر مداخل وممرّات ضيّقة، والتي لا يمكن الانسحاب منها إلا عبر ممرّات غير مأمونة، مما يجعل فصيلة صغيرة للعدّو قادرة على سحق عدد كبير من قواتنا، هذه الأرض تسمى الأرض المُحاطة "محفوّفة بالمخاطر".

ادرس بعناية أسباب وعوامل راحة جنودك (رفّه عنهم، عالجهم، انبسّط معهم، أعطهم ما يفيض عن حاجتهم من الطعام والشراب)، ولا تقم بفرض الضرائب الزائدة عليهم،

ركّز طاقتك وادخر قوّاك، ابق جيشك مترابطاً ومتحركاً على الدوام (بحيث لا يعرف العدّو مكاناً محدداً لك)، واخترع خططاً مبّهمة غير مفهومة من قبل العدّو.

اقذف بجنودك في مواقف لا مهرب منها، وهم ساعتها سيفضلون الموت على الفرار، إذا واجه جنودك الموت، فلا يوجد شيء يعجزون عن تحقيقه، وقتها سيبذل الجنود والضباط معاً، أقصى ما لديهم من طاقات.

يفقد الجنود في المواقف اليائسة الإحساس بالخوف، فإذا لم يكن هناك أيّ مهرب فسيقفون ثابتين، إذا كانوا فوق أرض العدّو، فستكون مقدمتهم عنيدة، إذا لم يكن هناك أي مساعدات تُرتَجَى، فسيقاتلون بشدّة وصلابة.

بذلك وبدون إصدار أوامر لهم، حينها في حالة عطاء دون سؤال ينفذون ما تريده، قبل أن تطلبه منهم، دون أيّ تحفظات أو حدود، في حالة قصوى من العطاء، حيث يمكنك الثّقة بهم.

امنع التعاطي في أفكار نُذّر الخير والتشاؤم، واقض على أيّ خرافات أو شكوك، وحتى يأتي الموت ذاته، فلا يجب الخوف من أي فترات هدوء (الخرافات تجلب الخوف واليأس، وتقتل الرجال مئات المرات قبل أن يلقوا حتفهم فعلاً، يجب

القضاء على التعاطي بالسحر والتنجيم واستطلاع النجوم بين الجنود، فذلك يُدخل الخوف إلى عقولهم).

إذا لم يعدّ جنودك مهتمين بالحصول على الأموال، فلا تظن ذلك مردّه زهدهم في الغنى، وإذا لم تعدّ حياتهم طويلة مديدة، فلا تظن ذلك سببه عدم رغبتهم في العيش، يريد "أتزو" القول: إنّ الجنود ما هم إلا بشرٌ، تراوّدهم أطماع الأغنياء والعمر المديّد، لذا فلا تقذف في طريقهم أيّ مغريات تشجع لديهم هذه الرغبات "الطبيعية" التي تجعلهم يتركون القتال، ويقبلون على الدنيا.

البطل "شو" رجل عاصر "أتزو" وقد تم تكليفه باغتيال الحاكم "وانج لي - أو"، بخنجر خبأه في أحشاء سمكة قُدّمت على الطاولة، لكنّه ما إن فعل فعلته حتى تحوّل إلى أشلاء صغيرة بفعل سيوف حراس الملك، على أنّه نجح في تحقيق ما ذهب من أجله.

البطل الثاني سبقت شهرته الأوّل، حيث كانت مملكة "لوو" قد انهزمت ثلاث مرات من مملكة "تشي"، وكانت على وشك الاستسلام مقابل التنازل عن قطعة كبيرة من أراضيها، فما كان من البطل "كيو" إلا أن وقف بخنجر مصوّب إلى صدر "هوان كنج" دون مملكة تشي، وطالبه بتصحيح أوضاع معاهدة الاستسلام، إذ أنّ مملكة "لوو" صغيرة وضعيفة، فما

كان من الدّوق، الذي عجز حراسه عن الاقتراب منه خوفاً على حياته، إلا أنّ وافق على مطالب "كيو".

وقتها سحب "كيو" خنجره، وذهب ليقف وسط الجموع المرعوبة دون أن يتغير لونه، أو يرجف له جفن، أراد الدّوق بعدها الرجوع في كلمته التي أعطاها، لكن مستشاره "كوان شونج"، أوضح له توابع عودته في كلمته التي أعطاها، وهكذا حفظت شجاعة "كيو" المملكة من فقدان نسبة كبيرة من أراضيها التي خسرتها في ثلاث هزائم.

الفصل الثاني عشر: الهجوم بالنار

في حالة الهجوم بالنار لا بدّ من توافر بعض الظروف الملائمة والموارد اللازمة لإطلاق النار، والتي يجب أنّ تكون في متناول الأيدي، وهناك بعض الفصول المناسبة للهجوم بالنار، وأيام خاصة لإشعال الحريق، وأفضل الفصول لإطلاق النار هي الفصول الجافة غير الممطرة - وأفضل الأيام هي التي ليس فيها رياح - كذلك الأيام القمرية، حيث تتاح لك رؤية الحوائط والأشياء على ضوء القمر.

إنّ كسب المعارك واحتلال الأهداف، ولكن من دون النجاح في استغلال النصر هو نذير شؤم وهو "هدر للوقت" لذلك يقال إن الحكّام المستنيرين يناقشون الخطط، والقادة الأكفياء ينفذونها بانتباه شديد.

إذا كان ما تقوم به يتفق مع مصلحة الدولة، فتحرك.

وإذا لم يكن ما تقوم به في مصلّحة الدولة، فلا تتحرك.

هناك خمس طرق للهجوم بالنار:

- أن تحرق جنود العدّو في معسكراتهم.
- أن تحرق مخازن العدّو "مخازن الذخيرة والمؤونة والوقود".
- أن تحرق وسائل النقل والإمدادات.
- أن تحرق أسلحة العدّو وذخيرته.
- أن تقذف النار بين صفوف العدّو "مثل كرات اللهب، والأسهم المشتعلة".

ولكي نقوم بالهجوم، يجب أن يكون لدينا طرق ملائمة لذلك، ويجب أن تكون المكونات والأدوات اللازمة للهجوم في حالة استعداد تام على الدوام.

في كل جيش، يجب أن تكون التطورات الخمسة المتصلة بالنار معلومة جيداً، ويجب حساب حركة النجوم، ومعرفة الوقت لحساب الأيام بدقة (لمعرفة أوقات هبوب الرياح، وللاستعداد أيضاً للعدّو إذا كان بدوره ينتظر موسم الرياح).

إذن أولئك الذين يستعملون النار لتساعدهم في الهجوم يتحلّون بالذكاء، وأولئك الذين يستخدمون المياه لتساعدهم في الهجوم يحصلون على قوة إضافية.

وهنـاك موسـم ملائـم للـهجوم بالنـار، وهنـاك أيـام بعينهـا تناسب إشعال الحرائق الواسعة.

الموسـم الملائـم هـو عنـد جفـاف الطقـس بشـدة، والأيـام المناسبة، هي عندما يكون الهلال هـلالاً "سـابع يـوم في الشـهر القمـري" وبـدراً "يـوم ١٤ مـن الشـهر" ويـومي ٢٧ و٢٨ إذ هـذه الأيام الأربعة تشهد رياحاً نشطة.

في كـل جـيش، يجـب أن تكـون التطـورات الخمسـة المتصلة بالنـار معلومـة جيـداً، ويجـب حسـاب حركـة النجـوم، ومعرفة الوقت لحساب الأيام بدقة "لمعرفة أوقات هبوب الرياح، وللاستعداد أيضاً للعدّو إذا كان بدوره ينتظر موسم الرياح".

إذن أولئـك الـذين يسـتعملون النـار لتسـاعدهم في الهجـوم يتحلّون بالـذكاء، وأولئـك الـذين يسـتخدمون الميـاه لتسـاعدهم في الهجوم يحصلون على قوّة إضافية .

الحـاكم المسـتنير يضـع خططـه مقـدماً، والقائـد النـاجح يرعى مصادره وجنوده "عن طريق الثواب والعقاب والمكافآت".

لا تتحرك حتى تـرى فرصـة تنتهزهـا، ولا تسـتعمل قواتـك مـا لم يكـن هنـاك فائـدة ترجوهـا، ولا تقاتـل مـا لم يكـن موقفك حرجاً.

الفصل الثالث عشر:

استعمال الجواسيس "سون أتزو رائد الجاسوسية"

يعتبر "سون أتزو" رائد الجاسوسيّة الصينيّة، ولا يعني ذلك أنّ الصين لم تعرف الجاسوسيّة قبله، فعلم الجاسوسيّة في الصين قديم جدّاً، لكن الفضل يرجع لـ "سون أتزو" في تكوين أوّل شبكة مخابرات كاملة في الصين، وألف كتاباً عنوانه: "أصول الحرب" وهو أقدم كتاب عرف عن "فن الحرب" عموماً، ولا يزال مطلوباً للقراءة في أكاديميّات عسكريّة كثيرة، استفاد منه "ماو تسي تونج" في زحفه الطويل، وطبّقة اليابانيّون قبل مهاجمة ميناء "بيرل هاربور" البحريّ الأمريكيّ، وهو كتاب شامل مفيد حتى إنّ قيادة الطيران الملكيّ البريطانيّ وزعته بعد تبسيطه على ضباطها في "سيلان" أثناء الحرب العالميّة الثانية.

كرّس الكتاب جهداً كبيراً لإيضاح أهمية الجواسّيس، وطالب بتقسيمهم إلى خمسة أقسام:

- جواسيس محلّيون: مواطنون محليون يتقاضون مكافآت على المعلومات.
- جاسوس داخلي: خائن في صفوف العدّو.
- جاسوس محوّل: عميل أمكن إقناعه بتغيير أفكاره ومبادئه.
- جاسوس هالك: عميل اعتاد تزويد العدّو بمعلومات زائفة، من المحتمل قتله فيما بعد.
- جاسوس باق: مدرب، يعتمد عليه في العودة من مهمته، بأمان.

ويعتقد "سون أتزو" بأن شنّ حرب بطريقة اقتصادية، مع الدفاع عن البلاد ضد الآخرين، يتطلب ضرورة استخدام نظام تجسس دائم، يرصد أنشطة الأعداء والجيران على السواء، وأكّد أهميّة التقسيم المذكور، وضرورة اعتبار الجاسوسيّة عملاً شريفاً، وملاحظة استمرار تقريب العملاء من زعمائهم السياسيّين والقادة العسكريّين.

وأوصى "سون أتزو" في كتابه بحسن معاملة العملاء المحوّلين، ومنّحهم المسكن المريح، والعطاء الجزيل بين الحين والآخر، لأنّ هذا ادّعى على تثبيت ولائهم، بل وإغرائهم

بمحاولة استمالة زملائهم ورؤسائهم السابقين، خاصّة الذين يستجيبون منهم للرشّوة بسهولة.

"سون أتزو" وحزب الله وسقوط أسطورة الجيوش الكبرى.

مع سريان وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله بعد معارك طاحنة في عام ٢٠٠٦م، واعتبار مراقبين أن شهراً من الحرب لم يكسر شوّكة الجماعة اللبنانية يعطي كتاب المفكّر الصينيّ "سون أتزو" قبل ٢٥٠٠ عام، تفسيراً لكيفية انتصار مجموعات صغيرة على جيش نظاميّ ضخم في الحروب غير المتكافئة.

يرى "سون أتزو": في كتابه "فن الحرب" أنّ القوات قليلة العدد، التي تتخذ موقف الدفاع يجب أن تكون مدفونة في الأرض، حتى لا يراها العدّو، وأن اتخاذ مثل هذا الموقف في حالة عدم تكافؤ القوى لا يعني السلبية، وإنما خلق الظروف المناسبة لاستنزاف الجيش المهاجم، فالبراعة هي الجمع بين صد الهجمات وشن الهجوم المباغت.

وكان نابليون لا يكفّ عن قراءة كتاب "فن الحرب" في غمار المعارك.

كما أن الرئيس الأمريكي "تيودور روزفيلت" دائم الاطلاع على هذا الكتاب مرجحاً أن عدد مرات قراءته له قارب المئة.

إذا عرفت عدوّك، وعرفت نفسك، فليس هناك ما يدعو أن تخاف نتيجة مئة معركة، وإذا عرفت نفسك، ولم تعرف عدوّك، فإنك تقاسي من هزيمة مقابل كل انتصار، وإذا لم تعرف نفسك، ولم تعرف عدوّك، فإنك أحمق، وسوف تواجه الهزيمة في كلّ معركة.

أن تجميع مئة ألف من الجنود الرجال، والسّير بهم لمسافات طويلة في مناورات حربيّة، كفيل بأن يوقع خسائر ثقيلة على أفراد الشعب، ويستنزف موارد الدّولة، إذ سيبلغ معدل الإنفاق الحكومي اليومي آلاف الأونصّات "عملة" من الفضّة، وسينتشر الهرّج والمرّج وتعمّ الفوّضى داخل البلاد وخارجها، وسيسقط الجنود من الإرهاق جراء سيرهم المسافات الطويلة على الطرق، وستزيد معاناتهم، كلما أوغلوا في الأراضي المعادية، وسيتضرر الآلاف من الأسر في أعمالهم وأرزاقهم.

قد تقابل الجيوش المتحاربة بعضها البعض، في حروب مستنّزفة تستمر سنين، يُصارع خلالها كل طرف لاقتناص

النصر المظفر، والذي قد يتحدد في يوم واحد، أن تبقى جاهلاً بحالة العدّو، لأنّك ترفض إنفاق حفنّة أونصات من الفضة لشراء ذمم ورواتب الجواسّيس، لهو عمل يمثل قمّة اللاإنسانيّة، ومن يتصرف بهذه الطريقة ليس كقائد كفء للأفراد، ولا يقدم يد المساعدة لحاكمه، وليس بجانب للنصر.

وهكذا - فإن العنصر الذي يُعين الحاكم الحكيم، والقائد العسكريّ المحنّك على تنفيذ الضربات القوّية وتحقيق النصر، التي لا يمكن للرجال التقليديين تحقيقها، هذا العنصر هو المعرفة المسبقة بأمور العدّو.

هذه المعرفة المسبقة لا يمكن الحصول عليها عن طريق استحضار الأرواح، أو استجداء الآلهة، أو بناء على سنوات الخبرة، والتوقعات المدروسة، أو من الحسابات الفلكيّة أو النجوم.

تحركات ونوايا العدّو الفعلية، يمكن معرفتها فقط من خلال رجال آخرين.

هكذا تبرز الحاجة لاستخدام الجواسيس، الذين ينقسمون إلى خمس فئات:

١ – المحلّيون.

٢ – الداخليّون.

٣ – المنشقّون "المزّدوجون".

٤ – الهالكون "المضلّلون".

٥ – الإستراتيجيون "الباقون أحياء".

عندما تعمل جميع فئات الجواسيس معاً في وقت واحد، وفي انسجام تام، فلا يستطيع أحد وقتها اكتشاف هذا التنظيم السرّيّ، ذلك هو أكثر التنظيمات الاستخباراتيّة أهمية عند الحاكم.

استعمال جواسيس محليين يعني توظيف خدمات القاطنين في الأحياء السكنيّة (يشرح "تو مو" هذه النقطة بقوله: تودّد إلى سكان أحياء العدّو، واكسبهم إلى صفك ليكونوا جواسّيس لك).

استعمال جواسّيس داخليين يعني الاستفادة من ضباط جيش العدّو(يستطرّد"تومو":عليك الاقتراب بحذّر من ضباط وعساكر العدّو المتذمرين، الذين تعرضوا لتخطيّهم في الترقيّات، أو الطماعين أو غير الراضين عن أحوالهم العامة، أو

المتمردين المحكوم عليهم بعقوبات، أو القيادات العسكريّة المهمّشة التي تريد إلحاق الفشل بصفوفها لتثبت أنّها على حقّ فيما ذهبت إليه من رأيّ -استعمال جواسيس منشقين - يعني بسط السيطرة على جواسّيس العدّو، وجعلهم يعملون لصالحك ويشير "تومو" الذي يعقب قائلاً: إنّ المنشقين يعملون على إعطاء معلومات غير صحيحة للعدّو عنا، ولا يقتصر الأمر على استمالة أفراد ليعملوا جواسّيس لنا، إذ يمكن التستّر على جواسيس العدّو لدينا، وعدم اشعارهم بأنّ أمرهم قد اكتشف، مقابل الحرص على تزّويدهم بما نريده من معلومات، لينقلوها بدوّرهم إلى العدّو، دون فطنتهم للأمر(استعمال جواسيس مضلّليّن هالكين، لا ينفّذون سوى أعمال محدّدة في وضح النهار بغرض الخداع، لكي يعرفهم جواسّيس العدّو ويبلغون عنهم العدّو، وتزوّيدهم بمعلومات زائفة، حتى إذا تم اكتشافهم والقبض عليهم واعترفوا تحت ضغط تعذيب العدّو، كانت المعلومات التي باحوا بها للعدّو مضلّلة غير حقيقية).

الجواسيس الباقون على الحياة هم من يعودون أحياء، ومعهم الأخبار من معسكر العدّو.

لا شيء في أمور الجيش كلّه يفوق أهمية الحفاظ على علاقات قريبة، وحميمية مع الجواسّيس، كما لا يجب أنّ يفوق أيّ شيء مكافأة هؤلاء الجواسّيس بسخاء، ولا يجب أن يفوق أيّ شيء السرّيّة التامّة للتعامل مع الجواسّيس، ويجب أن يتمكن الجواسّيس من الوصول للقائد بكل سهولة، وفي كلّ وأيّ وقت، والجواسيس - بحكم طبيعتهم - دائماً ما يتعاونون مع من يدفع لهم أكثر، لذا لا يجب أن يعرفوا أيّ شيء أكثر مما ينبغي، ويجب الحرصّ منهم دائماً، إذ يمكن أن يكونوا مزّدوجين أو ينشقّوا عليك.

لا يمكن توظيف الجواسّيس بدون مبادئ عامة حكيمة ومفهومة وواضحة، يجب أن يكون القائد عالماً بحقائق الأمور، فيعرف الصدق من الكذب، ويعرف الأمين من المخادع.

لا يمكن إدارة شؤون الجواسّيس بنجاح من دون إظهار النوايّا الطيّبة، والوضوح التام، والصدق الكامل في التعامل، يجب أن تكسب ثقة الجاسوس تماماً.

بدون إعمال العقل والتفكير في تقارير المعلومات الواردة من الجواسّيس، لا يمكن لأحد أن يكون واثقاً تمام الثّقة من صّحة هذه المعلومات الاستخباراتية.

كن دقيقا ـ كن بارعاً ـ واستعمل الجواسّيس في شتّى الأمور والمجالات.

إذا تمّ تسريب معلومات سرّيّة إلى أيّ جاسّوس قبل حلول الوقت المناسب لذلك، اقتل الجاسوس وكلّ من نقل إليه هذا السرّ، قتل مثل هذا الجاسوس الشارد، إنّما هو عقاب له، وقتل المسرّب هو للقضاء تماماً على هذا التسرّيب.

بغض النظر عما إذا كان الهدف هو قهر عدّو، أو غزو مدينة، أو اغتيال فرد ما، فيجب أن تبدأ بمعرفة قائمة أسماء الجميع، من مساعدين وعاملين وحراس، ويجب توجيه الجواسيس ليؤكدوا صّحة هذه الأسماء؛ يجب بحث إمكانية استمالة أيّ من هؤلاء بالرشوة بالمال.

يجب البحث عن جواسيس الأعداء الذين قدموا إلينا من أجل التجسّس، وأن يتم إغراؤهم بالرشاوى، وأن يتم إبعادهم وتسكيّنهم في أماكن بعيدة ومريحة، بذلك سينشقون ويصبحون جواسيس لنا مستعدين لخدمتنا.

من خلال المعلومات التي يمدنا بها الجواسيس المنشقّون، يصبح بإمكاننا الحصول على توظيف جواسيس محليين وداخليين.

بناء على هذه المعلومات أيضاً، يمكننا تزويد الجواسّيس الهالكيّن "المضلّليّن" بمعلومات زائفة يمرّرونها للعدّو.

أخيراً، وبناء على كلّ هذه المعلومات التي أمدنا بها الجواسّيس بمختلف فئاتهم، يمكن استخدام فئة الجواسيس الاستراتيجيّة في مهمّات محددة.

الغرض والغاية من التجسس بكلّ صورهِ الخمس السابقة، هو معرفة أمور العدّو، تلك المعرفة التي يتم الحصول عليها ابتداء من الجواسّيس المنشقيّن، ولذا يجب معاملة أولئك الجواسّيس بكل سخاء وكرم.

وكأمثلة على ذلك، فإنّ التاريخ القديم يخبرنا عن بزوغ نجم سلالة "ين بسبب آي تشي"، الذي خدم تحت أمرة "هسيا" وكذلك صعود سلالة "تشو بسبب لويا"، الذي خدم تحت أمرة "ين".

الحاكم المتنوّر والقائد الحكيم هما من يستخدمان أفضل المعلومات الاستخباريّة العسكريّة لأغراض التجسس، وبذلك يحققان النتائج العظيمة.

الجواسيس هم أكثر العناصر أهمية، لأنّ قدرة الجيش على رؤية العدّو وفهمه، ومن ثم الاستعداد له تعتمد عليهم،

على أن الإفراط في الاعتماد على الجواسيس قد يؤدي لأثر عكسيّ، لذا فيجب الموازنة بين جميع العناصر الاستخباريّة والمعلوماتيّة.

وجواسيس الوطن هم الذين يجنّدون من أبناء وطن العدّو، ولا بد للقيادة العليا أنّ تتسلّح بالمعرفة الكاملة لمهام الأنواع الخمسة من الجواسيس، وأنّ تعرف أنّها تعتمد على الجواسيس المجنّدة، لذا يجب أنّ يتعاملوا بقدّر كبير من السخاء، ومن هنا فإن القيادة العليا المستنيّرة فقط، والقائد الحكيم هما القادران على توظيف أكثر الناس ذكاءً مثل الجواسيس، وتحقيق نتائج عظيمة، والعمليات الجاسوسية ضرورة من ضروّريات الحرب الذي يعتمد الجيش عليها في كل تحركاته.

خاتمة

إن لعب الحرب سبقت الحروب المنظمة باعتبار لعبة "الشطرنج" من اللعب القديمة والتاريخيّة التي عرفها الإنسان منذ آلاف السنين، وقد استخدمت لعبة الشطرنج للتسليّة وللتعليم وللتشبيه أيضاً، بالإضافة إلى ذلك هناك ألعاب أخرى مشابهة للشطرنج، ظهرت في العصر القديم، واندثرت على مرّ العصور، ولكن من أسرار بقاء لعب الحرب، دون غيرها من اللعب الأخرى، ولهذا استمرت لعب الحرب في تطورها مع تطور الحروب على مدى التاريخ، مثلها مثل أيّ شيء في الحياة، رافق تطور الإنسان والمحيط الذي يعيشه، حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي، عندما ظهرت لعب الحرب الحديثة الأكثر تنظيماً من ناحية أهدافها ووسائلها، واستمرت في ظهورها بأشكال متعدّدة، مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

قام بعض المفكّرين والعسكريّين في الجيش الروسيّ بإعداد أوّل لعبة حرب واقعية ومفصلة ودقيقة لغرض التدريب والتخطيط وتحليل طرق الحل المطروحة للعمليات العسكرية.

وقد صمّمت آلية هذه اللّعبة ووضعت قواعدها وقوانينها بناء على معلومات ودراسات دقيقة، تتركز على العلم والفكر العسكريّ، في ذلك الوقت بالإضافة إلى التجارب والخبرات والواقع، وبالفعل ظهرت فوائدها ونتائجها العسكريّة بشكل واضح، ومن هذا المنطلق التاريخيّ لأهميتها بدأت العديد من الجيوش بالاهتمام بها.

يُعدّ الألمان لاحقاً أوّل من أخذ لعب الحرب في الاعتبار بجدية في عملهم، وأول من استفاد من نتائجها علميّاً وعملياتياً في أواخر القرن التاسع عشر، وفي نفس هذه الفترة من التاريخ ظهرت بعض الكتب التي تتعلّق بلعب الحرب وتبرز أهميتها، واستمرت لعب الحرب في التطور التدريجيّ حتّى الحرب العالمية الثانية. حيث بلغ التطوّر والأهميّة للعب الحرب أن أخذت اللعبة طريقاً آخر لا يقل أهمية في أهدافه عن أهمية لعب الحرب في التعليم والتدريب.

وهذا الطريق الجديد هو بدء استخدام لعب الحرب في الاتحاد العلمي، وبالتحديد في الأبحاث والتحليل، وأصبحت لُعب الحرب تسير في اتجاهين متوازيين أحدهما تاريخيّ، والآخر علميّ إلى الأمام.

ثم بدأ في وقت لاحق الاتجاه العلميّ في لُعب الحرب تنظر إلى المستقبل، وتركز عليه أكثر من الماضي، وأثناء فترة الحرب الباردة، قام الأمريكيون بتصميم وممارسة لُعب الحرب على المستويات الاستراتيجيّة، بدلاً من لعب الحرب السابقة المحدّدة في أهدافها وأطرافها، وبدأت الفكرة من هذا المنطلق تتشعّب وتزداد أهمية وتأخذ طابع الواقعية في كلّ ما يحيط بها، وازدادت أشكالها وإنتاجها، وبالتالي بدأت في الستينيّات من القرن العشرين تأخذ مكانها، وتنتشر تجاريّاً أيضاً.

وبعد ظهور تقنية الحاسوب بدأ يدخل مجال لعب الحرب، وبالتالي انخفضت لعب الحرب اليدوية، وباستخدام الحاسوب في مجال لُعب الحرب، اعتبرت هذه القفزة بداية "العصر الذهبي" للعب الحرب، وازدادت أهميتها، كما ازدادت سرعة انتشارها أيضاً بدخول الحاسبات الشخصيّة للساحة، ومن هذه النقطة ارتبط تطور لعب الحرب بتطور الحاسبات، وبالتالي تطوّرت الواقعية والدّقة في المدخلات والمخرجات والنتائج، وبدأت الشركات ذات العلاقة تنافس في صناعة وإنتاج لعب الحرب، حتى أصبحت في درجة شبه كمال في أدائها وفوائدها، كما دخلت التقنيّة التجارية مجالات الحياة

الأخرى، والآن تعتبر أنظمة التشبيّه في جميع مجالات الحياة شكلاً من أشكال لعب الحرب التي لا تستغنى عنها، في مجالات الحياة العصرية في التعليم والتدريب والتحليل والتصوّر المستقبلي للحياة.

لعب الحرب تشبه أيّ لعبة أخرى يتنافس فيها طرفان، أو أكثر لكسب نتيجة اللعب، وقد تكون اللعبة لغرض التسليّة أو لكسب الخبرة، أو لمعرفة شيء ما، أو لإثبات تجربة ما، وبصرف النظر عن الغرض من اللعبة، ومع أن طرق وأساليب اللعب قد تعدّدت، لكن الفكرة واحدة، وتتلخص في أبسط أشكالها، في أنّ اللعب يتم على ساحة، أو لوحة، أو منطقة محددة للعب، أو خريطة، ثم تقسم المنطقة التي سيتم عليها اللعب إلى أقسام محددة حسب الحاجة وطبيعة اللعبة، وهذه الأقسام المحدّدة هي التي ستتم عليها تحركات الطرفين المتضادين، اللذين يمثلان على هيئة رموز وأشكال متعارف عليها تنطلق من مواقع محددة باتجاه أهدافها، وهذا كلّه، سواء التقسيم أو التحركات أو الرموز أو المواقع، تتم وفقاً لقواعد واضحة وتحكمها قوانين وإجراءات محددة.

وبالنسبة لنا من المنظور العسكريّ عندما نترجم ما ذكرناه أعلاه نجد أن "مساحة اللعب" هي ميدان القتال

وطبيعة الأرض التي ستتم عليها العمليّات، والأقسام تمثل المناطق التي يسيطر عليها كل طرف، والرموز تمثل الوحدات، والتحركات تمثل المناورة، وقواعد وقوانين اللعبة تعكس العقيّدة العسكريّة، والنتائج مبنيّة على الخبرات والتجارب ونتائج الحروب السابقة...إلخ، وأبسط مثال يمكن أن نتخيل لعب الحرب بواسطته هو:"لعبة الشطرنج" التي تمثل شكلاً من أشكال الحرب الأوّلية صمّمت واستخدمت لغرض معين وفقاً لقوانين وقواعد ثابتة وواضحة.

ومن أهم النقاط التي يجب معرفتها:"أنّ لعب الحرب بأشكالها وأنواعها ومختلف أغراضها واستخداماتها لها بداية ونهاية واضحة ومحددة، مبنية على الخبرات السابقة، وموجّهة لغرض معين من اللعب".

نظراً لتاريخ لعب الحرب الطويل، فقد تعدّدت تعاريف ومفاهيم لعب الحرب.

مصطلح لعب الحرب حديث، ولكنّه في الحقيقة قديم في فكرته وتطبيقه واستخداماته، تقودنا بعض هذه الطرق إلى عصور سالفة ثبت أنّ معاصريها مارسوا لعب الحرب، حيث دوّن التاريخ أنّ الصينيين مارسوا الحرب في العصر

القديم، قبل ٥٠٠ عام تقريباً قبل الميلاد، وهي الفترة التي عاش فيها المفكّر العسكريّ الاستراتيجيّ الصينيّ "سون أتزو" الذي دوّن بعض العقائد العسكريّة، ومبادئ الحرب وعلومها وفنونها في ذلك الوقت، ولو تتبعنا جذور لعب الحرب لسلكنا عدة طرق مجهولة في بداياتها ونهاياتها، لأنّه لا يعرف أحد بدقة متى وأين ولماذا بدأت لعب الحرب؟.

الصينيون كانوا يلعبون "لعب الحرب" على لوحات خاصّة بذلك، ويستخدمون حجارة ملّونة تمثل الأطراف المتبارية، وتطبق خلال اللعبة استراتيجيّات وفنون قتال مختلفة، تهدف لتطوّيق الخصم، وقد استخدم القادة العسكريّون في ذلك الوقت لعب الحرب لمراجعة وشرح خططهم للحملات العسكريّة، كما دون التاريخ العسكريّ من فترة إلى أخرى مثل هذه الاستخدامات العسكريّة للعب الحرب في كلّ من الهند، اليابان، مصر، وغيرها.

ورغم هذه الأهمية للعب الحرب، إلا أنّها لم تنتشر عسكريّاً بالشكل الذي نتصوّره حتى القرن السابع عشر من الميلاد، وذلك عندما بدأت تعطى أهمية وجدّية أكثر مما سبق، مرافقة بذلك ظهور التنظيمات العسكريّة الأكثر تنظيماً واحترافاً، وبالتالي صمّموا واستخدموا لعب الحرب

بشكل أكثر دقة وواقعيّة، حيث قاموا بتمثيل وتصوير طبيعة الأرض على طاولة اللعب بشكل دقيق، ونسبة إلى مقياس رسم، ومنها استمرت لعب الحرب في التطور التاريخي، حتّى أصبحت لها مكانتها في العلم والفكر العسكريّ في ذلك الوقت، إلى درجة إنّها أدخلت ضمن مناهج التعليم في الكليات العسكريّة، وجهّزت لها أماكن ووسائل خاصّة بها كوسيلة تعليمية تظهر على شكل طاولة رمل، مبنيّة على مقياس رسم تعكس طبيعة الأرض، وحجم القوات ونوع التكتيك المتبع في ذلك الوقت، واعتبرت هذه الفترة حجر الأساس للعب الحرب الحديثة، ولهذا يعتقد البعض أنّ هذه هي النشأة الأولى للعب الحرب.

الكثير من الدول التي استخدمت هذه الأساليب التي شاركت في الحرب العالمية الأوّلى، مثل الألمان وغيرهم، كوسيلة لتحسين نوعية قرارات القيادات المختلفة، وخاصة القيادات العليّا منها، وفي نفس الفترة أيضاً استخدمها اليابانيّون لنفس الأغراض، وكانوا يمارسونها في كليّة الحرب، كما كان للبحريّة الأمريكيّة دور كبير في تطوير لعب الحرب، وقد كسبت البحرية الأمريكيّة شهرة نتيجة الاهتمام بلعب الحرب وتطويرها، إلى درجة أن اعتمدت عليها

القيـادات العليـا في أمريكـا كوسـيلة للوصـول إلى أفضـل القرارات السياسيّة للمواقف والفرضيّات التي يطرحونها.

أصبحت لعب الحرب أدّاة هامة على مرّ العصور، وازدادت أهميتها من فترة لأخرى، حتّى وصلت إلى ما وصلت إليه من أهمية في شتّى المجالات في وقتنا الراهن، وخاصّة في المجال العسكريّ على مختلف مستوياته، وما زالت أهميتها تزداد من يوم إلى آخر، كلما ازداد التقدم التقني، وتطورت طبيعة الحرب ووسائلها، والدليل على ذلك واضح من استخدام وانتشار لعب الحرب، نتيجة تقدم وانتشار علم الحساب الذي حوّل مجرى تاريخ لعب الحرب، من اللعب اليدوي إلى اللعب الإلكتروني، وهذا بدوّره زاد من أهمية متطلباتها، وأشكال استخداماتها، ولا ننسى أنّ ما نراه اليوم من لعب حرب خاصّة أو تجاريّة أو غيرها، ما هي إلا امتداد للعب الحرب اليدويّة بدأت باللعب على لوحات بسيطة أو باللعب على الرمل أو غيره، وانتهت بالحاسوب، ورغم التقدم التقنيّ الذي توصل إليه العلم اليوم لا تزال هناك ثلاثة أنواع مستخدمة من لعب الحرب، وهي: على لوحات خاصة باللعبة، أو على الرمل، أو على الحاسوب.

يـذكـر أن المفكّـر الاسـتراتيجيّ الصـينيّ "سـون أتـزو" مارسـها علـى لوحـة خاصّـة، وعليهـا حجـارة ملوّنـة تمثـل قـوات الطـرفين، ويهـدف كـل طـرف إلى تطويـق الطـرف الآخـر، وانتشـر استخدام مثل هذه اللعبـة في ذلـك الوقـت في عـدة بلـدان مثل: الهنـد واليونـان ومصـر وغيرهـا مـن بلـدان العصـر القـديم، واستمرت الأهمية للعب الحرب محصوّرة في المجال العسـكريّ بشـكل خاص، وتتقدم معه وتتأخر بتأخره حتّى القـرن السـابع عشـر، ظهـرت في ألمانيـا لعبـة الملـوك " الشـطرنج المطـوّر" وتـتم وفقـاً لتحركـات محـددة عـددها "١٤" حركـة، ومكونـة مـن "٣٠" قطعة لكل طرف تمثل القوات العسـكريّة وسمّيت لاحقاً بالشـطرنج العسـكري، كمـا ظهـرت لعبـة حـرب مطـوّرة عـن السـابق، وتتكـون مـن ١٦٦٦ مربعـاً و١١٨ قطعـة تمثـل القوات، وقسمت المربعات بشـكل يمثل سـتة أنـواع مـن طبيعـة الأرض، وتلعـب وفقـاً لقـوانين وقواعـد محـددة، وانتشـرت هـذه اللعبة في فرنسا وإيطاليا والنمسا وغيرها من الدول الأوربيّة.

طورت ألمانيا لعب الحرب السابقة إلى ٣٦٠٠ مربع مثلت الحـدود البلجيكيـة -الفرنسـية وتـتم ممارسـتها بقـوانين وإجراءات أكثر دقة.

طوّر ضابط بروسيّ "فون ريسيفيتز" لعب الحرب من لوحة إلى طاولة رمليّة تمثل طبيعة الأرض تماماً، ومبنية على مقاييس رسم، ووضعت لها قواعد وقوانين دقيقة بالإضافة إلى أخذ عوامل الطقس وإمكانات وقدرات القوّات والأسلحة والمعدات في الاعتبار، وكان ذلك هو أساساً جديداً قوياً للعب الحرب الحديثة، وتطورت لعب الحرب إلى "خريطة" مبنية على مقياس رسم، وكانت هذه بداية حقيقية للعب الحرب البرية الحديثة، لأنّها أبرزت دور عناصر إسناد القتال بشكل أكثر وضوحاً، وشهدت تطوراً للعب الحرب إلى لعب حرة "تعتمد على اللاعبين" بدلاً من قوانين التحركات الثابتة.

لم تقتصر لعب الحرب على الجانب البري، فقد ظهرت أوّل لعبة حرب بحرية، قام بتصميمها "ضابط إنجليزي" وانتشرت في الولايات المتّحدة الأمريكيّة في كليّة الحرب البحريّة.

في بداية القرن العشرين توسع الاستخدام العسكريّ للعب بشكل ملحوظ، في أوروّبا وأمريكا، ودخلت إلى جميع التنظيمات العسكريّة بشكل عام، والمؤسسات التعليميّة بشكل خاصّ، قبل وأثناء الحربين العالميتين استخدم الألمان لعب الحرب بشكل واسع على مختلف المستويات لتحسين نوّعية قراراتهم، وخاصّة على المستويات العليّا.

أثناء الحربين العالميتين استخدم اليابانيّون أيضاً لعب الحرب بشكل كبير، ولكنهم أساؤوا استخدامها في تقويم نتيجة ضرب ميناء "بيرل هاربر" ولكي يحسنوا حساب النتائج، التي كانت قاضيّة بالنسبة لهم.

جميع الدول الأوروّبية والولايات المتّحدة الأمريكيّة والدول في الحربين العالميّتين، استخدموا لعب الحرب بشكل جديّ، وكان لها دور واضح في نوعية القرارات على مختلف المستويات.

في نهاية الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة ظهر المسار العلميّ الجديد للعب الحرب في استخدامها لأغراض التحليل، ومن تسعينيّات القرن الماضي العشرين، وحتّى اليوم بدأ انتشار واستخدام لعب الحرب في شتى المجالات بشكل لم يسبق له مثيل، والاعتماد عليها في تحسين القرارات إلى درجة كبيرة.

لقد صدرت فيما بعد الكثير من الكتب التي تتحدث عن الحروب، وتلامس شؤونها واستراتيجيات الدول وتأخذ بكل أسباب التطور والتقدم والتراكم المعرفي والتقني، ولكنّها بقيت تستند إلى نواميس أساسية للحروب وأشكالها ووسائلها، مهما اختلفت في الاستراتيجيات والآليات المستخدمة

المتاحة، وإذا كان المفكّر الاستراتيجي الألماني "فون كلاوزفيتش" في كتابه "فن الحرب" يعتبر المرجع الأكثر أهمية وحضوراً في العالم في مجاله منذ ما لا يقلّ عن قرن ونصف القرن، فإن الباحث الفرنسي "إيمانويل تيراي" يؤكد لنا أنّ "كلاوزوفيتش" قرأ "ميكيافيلي" بعناية كبيرة مضيفاً أن هذه العناية تعود إلى أسباب عدّة، أولها الدّور الذي يعطيه سياسيّو فلورنسا الدّاهية للدولة، إذ من دون وجود الدولة لا يكون هناك سوى الفوضى والهمجية.

كتاب فن الحرب لـ"ميكيافيلي" يتألف من سبعة أجزاء، وكتبه في عدّة سنوات، ويرى بأن "الحرب سيرورة تدور بين الدول"، ومحدّداً السياسة بأنّها "عقلنة الدّولة المشخصنة" وكتاب فن الحرب يمكن أن يقرأ في أيامنا هذه على شكل قطع أدبية خالصة، وفي خلاصة كتابه أن ليس ثمّة طريق ثالث بين أن تُغزى أو تغزو، والمعركة هي التي تحسم.

كتاب فن الحرب لـ"ميكيافيلي"، هو واحد من الكلاسيكيات الكبرى في العالم من الناحية النظرية والعسكرية والسياسية، وقد أشاد به خيرة العقول العسكرية في التاريخ، كما أثر في عظماء كثيرين منهم فريدريك الكبير ونابليون وجيفرسون وفولتير بل شكسبير، ويمثل "فن

الحرب" قراءة أساسيّة لأيّ شخص يريد أن يفهم تاريخ ونظرية الحرب في الغرب، الكثير من الناس لم يعرف ميكيافيلي ألا بصفته مفكراً سياسياً وشخصية انتهازية مؤسسة لنظرية الواقعيّة السياسيّة عن طريق أطروحته في كتاب الأمير، ولكن "ميكيافيلي" لم يكن كذلك وحسب، فقد كان إضافة إلى ذلك مؤرخاً وخبيراً عسكرياً، في هذا الكتاب " فن الحرب" رأيت الوجه الآخر لميكيافيلي، المواطن الصالح والخبير العسكري العارف لمجريات التاريخ، لقد نشر الكتاب لأول مرة أثناء حياة مؤلفه سنة "١٥٢١م" بعكس مؤلفاته الأخرى والتي لم ترَ النور إلا بعد موته، وظهرت أكثر من عشرين طبعة للكتب في القرن السادس عشر بأكثر من لغة، وتأثر بها العديد من القادة أمثال نابليون فرنسا وفيدريك الثاني "العظيم" ملك بروسيا، والرئيس الأمريكي جيفرسون أحد الآباء المؤسسين للدستور الأمريكي، بالإضافة إلى تأثر المدرسة العسكرية الحديثة بالكثير من نظرياته، ورغم مرور قرابة الخمسة قرون على وجود الكتاب، ومع أن المؤلف يتحدث عن الحروب النظاميّة بصورة رئيسية، والتي لم يعدّ لها وجود، إلا أن الاطلاع على هذه الأطروحة سيمنح القادة العسكريّين رؤية شامل للعمليات الحربية، من خلال الاطلاع

على نقاط الضعف والقوّة في الجيوش على مرّ العصور، وستجد الكثير من الأمثلة للقادة الذين خلّدهم التاريخ بسبب نبوغهم العسكريّ، ويقول ميكيافيلي: إن الابتكار ومخالفة السائد هو الذي منحهم الأفضليّة أمام أعدائهم على مرّ التاريخ، وكان أسلوبه في عرض الأفكار والمفاهيم عن طريق الحوار.

ظهر في التسعينيات من القرن الماضي كتاب "الحرب والحرب المضادة للحفاظ على الحياة في القرن المقبل" أصدره العالمان "ألفين توفلر وهايدي توفلر" الأمريكيان، في فجر القرن الحادي والعشرين، وقد حظي باهتمام واسع من قبل المؤسسة العسكرية الأمريكية، التي اعتمدت على فكرته الأساسية المبنية على نظرية حرب المعلومات، ورغم صدور العديد من الكتب المتعلقة في مسألة الحرب، لكن هذا الكتاب يعتبر من أخطر الكتب الصادرة، لأنه يتحدث عن حضارة العلم والمعرفة وثورة المعلومات، التي أصبحت ذات أهمية كبرى في حياة المجتمعات، وتضاهي مسائل الطاقة والجوانب الاقتصادية الكبرى، ومن يمتلك المعلومات سينتصر، وكذلك تستعيض عنه بالإنسان الآلي والربوت، واستخدام مواد أخرى في رشّها على الدبابات فتذيبها، أو على

مجتمعات، ومنها حروب الأوبئة، واستخدام أجهزة اللايزر والأشعة بدلاً من الجيوش الجرّارة والعتاد العسكري الكبير، والآن ظهرت الطائرات المسيّرة والقنابل الذّكيّة توجه بـ "GPS" في أجيال جديدة من الحروب، وأحوال جديدة غير مألوفة أيضاً، وما يقدمه هذا الكتاب يشبه كتاب أفلام الخيال العلمي، وفي ضوء تلك المتغيرات في قواعد الحرب بين الدول، ستتغير خارطة التوزيع الدوّلي للأسلحة، فالدول التي ستمتلك تلك الصناعات، وأساليب فن الحرب، والمتقدمة تكنولوجياً وصناعياً، وصاحبة ثورة المعلومات ستستخدم الشعوب المتخلفة حقل تجارب لها في تطبيق كل الأساليب وأنواع الاسلحة كافة.

المحتوى

تقديم.....5
حياته ونشأته.....11
الفصل الأوّل: التخطيط للحرب وكيف يتم اتخاذ القرار؟ 29
الفصل الثاني: شنّ الحرب 43
الفصل الثالث: الهجوم بالخداع 48
الفصل الرابع: المناورات التكتيّكيّة 52
الفصل الخامس: القوّة والزخم 55
الفصل السادس: نقاط الضعف ونقاط القوة 60
الفصل السابع: المناورة.....65
الفصل الثامن: تنويع التكتيّكات الحربيّة.....67
الفصل التاسع: فن تحريك الجنود 71
الفصل العاشر: التضاريس.....74
الحادي عشر: ساحات المعركة التسع 78
الفصل الثاني عشر: الهجوم بالنار 83

الفصـــل الثالـــث عشـــر: اســـتعمال الجواســـيس"ســـون أتـــزو رائـــد الجاسوسية" 86
خاتمة 97

إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة

م	عنوان الكتاب	تقديم	اختيار	السنة
162	أبو الطيب المتنبي حياته وشعره	فلك حصرية	فلك حصرية	2021
163	آرائي ومشاعري	أ.عيسى فتوح	أ.عيسى فتوح	2021
164	ومضات (شذور وأمثال)	أ.سهيل الشعار	أ.سهيل الشعار	2021
165	الثورة رواية اجتماعية قومية	أ.د. فاروق اسليم	أ.د. فاروق اسليم	2021
166	الصعود المتعثر نحو الأمل	فلك حصرية	د. محمد الحوراني	2021
167	موسم الهجرة إلى الشمال	أ.سهيل الشعار	أ.سهيل الشعار	2021
168	المنسيون في التاريخ	فلك حصرية	فلك حصرية	2021
169	الحضور والغياب في المسرح السوري المعاصر	د. محمد الحوراني	اعداد د. إيمان تونسي محمد إبراهيم العبدالله – صباح الأنباري	2021
170	قصة الأرض	أ. ديب علي حسن	أ. ديب علي حسن	2021
171	زاهد المالح شاعر اللغة المرنيّة	د. نزار بريك هنيدي	د.نزار بريك هنيدي	2021
172	ثقافة الأطفال	فلك حصرية	فلك حصرية	2022
173	مختارات من روائع الثقافة والأدب	جودي العربيد	أ. سهيل الشعار	2022
174	بَقَثاتُ مَصْدورٍ وقصائدُ أخرى	ســـراج جـــراد	ســـراج جـــراد	2022
175	كوابيس بيروت	د. ماجدة حمود	د. محمد الحوراني	2022

م	عنوان الكتاب	تقديم	اختيار	السنة
176	ديوان إيليا أبو ماضي	صبحي سعيد قضيماتي	صبحي سعيد	2022
177	التذوق والجمال في كتابات الأشتر	د. عبد الكريم محمد حسين	د. عبد الكريم محمد حسين	2022
178	الشاعر المتنبي بين الشاعرين حامد حسن ورضا رجب	محمد خالد الخضر	محمد خالد الخضر	2022
179	مختارات من أشعار رسول يونان	حيان محمد الحسن	حيان محمد الحسن	2022
180	ضريبة اللباقة	د.نورا أريسيان	د.نورا أريسيان	2022
181	لغة العرب	ديب علي حسن	ديب علي حسن	2022
182	الباحثُ والمؤرِّخ الفُراتيّ عبد القادر عيّاش حياتُهُ وآثاره ويليه كتاب القمر في حياتنا وتراثنا	أ. سراج جَراد	أ. سراج جَراد	2023
183	أخلاق الأدباء أسمار وأحاديث	أ. فلك حصرية	أ. فلك حصرية	2023
184	صورة الآخر في التراث (نسخة معدلة ومختصرة)	د. ماجدة حمود	د. ماجدة حمود	2023
185	ما هو الشعر	سهيل الشعار	سهيل الشعار	2023
186	الشعر بنيةً وتشريحاً (تاريخ.. مدارس.. نقد..)	تأليف: حامد حسن		2023
187	في الميزان الجديد	أ.د. أحمد علي محمد	أ.د. أحمد علي محمد	2023
188	رباعيات أنور العطار	نزار بني المرجة	نزار بني المرجة	2023
189	هؤلاء علموني	جودي العربيد	سهيل الشعار	2023